نيس وميس

رواية

ضياء فتحي موسى

2014

نيس وميس

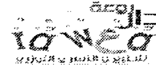
ضياء فتحي موسى

الطبعة الأولى : 2014م

رقم الايداع : 2013-8694
الترقيم الدولي : 9897-977-94-11-82-9

الإخراج الفني: محمد غريب
mohdghrib@gmail.com

تصميم الغلاف: ضياء فتحي موسى



دار روعة للطبع والنشر والتوزيع
المدير العام: هبة الشرقاوي
هاتف: 00201140178144
darrawaa@yahoo.com

شخصيات الرواية

• نِيس	شخصية أساسية
• مَيس	شخصية أساسية
• الظبي	شخصية أساسية
• وائِيل	شخصية أساسية
• دولت	شخصية أساسية
• المديرة مرزوقة	شخصية ثانوية
• بَشُوش	شخصية ثانوية
• راشد	شخصية ثانوية
• آضال	شخصية ثانوية
• الحكيم بَكَىَ	شخصية ثانوية
• الطبيبة	شخصية ثانوية
• الطائر الفضولي	شخصية ثانوية
• الغراب	شخصية ثانوية
• الشامبنزي	شخصية ثانوية

الفصل الأول

دمياط-2030

اسمها دولت, وهي سيدة طاعنة في السن, يُميزها وجه رحيم تفيض منه الخبرات وروح متفائلة في كل وقت, ولها عصا سوداء كالليل تساعدها على المشي, يتكرر عليها منظر زهرة البنفسج-كلها بنفسجية اللون إلا ساقها كونته خطوط هادئة الزُّرقة ملتفة على بعضها و تموج على مهل- ومقبضها على هيئة قلبين متداخلين ..
قبضت على عصاها, ومشت ببطء قاصدة الساعة المعلقة على الحائط, مدت عينيها الضيقتين بعمق من وراء نظارتها القديمة, ولما تأكدت أنَ جميع العقارب مجتمعة على الرقم سبعة; خطت نحو النافذة ثم فتحتها, فانتشر ضوء الشمس في أرجاء غرفتها, وكانت-الغرفة- مُرتبة, وكل قطعة فيها موضوعة بدقة, كأن فنان صاحب ذوق رفيع نظمها, لكنها جدًا ضيقة, وبصعوبة تسع إنسان واحد, لكن بأعجوبة, قبلت دولت وحفيدها نِيس.
هو ليس طفل, الأربعة وعشرون شتاء المنقضية من عمره تؤكد ذلك, ودومًا تراه جدته صغيرًا, وربما يُصدقها..
كان نائماً, وتدلت رجله من نهاية سريره القصير, فجعلت دولت كُرسيها الخشبي عند رجله المتدلية, و داعبت باطن قدمه بأناملها الرقيقة لعله يستيقظ, إنها عادة لا تقطعها, وقالت:

• نيس حبيبي ..الشمس طلعت .. والقمر غادر

استمرت في محاولتها, لكنه رفضَ ترك لذة النوم, فاستغنت عن طريقتها وراحت لأُذنِه وهمست:

• الساعة جاوزت السابعة .. مرزوقة ستخصم منكَ شهرًا

رفَسَ غطاءه ووقف فوق سريره, ولم تستطع هي كتم ضحكتها عندما رأته يختفي في قميص نوم كبير, هو ليس نحيف كعود القصب لكن القميص أبداه هكذا, وأشبهه بنملة تائهة في كومة قش, حتى البِنطال يسع أكثر من شخص بسهولة

• ما هذا الشيء الذي ترتاديه!

• باعَهُ لي زميل

حاول التملص من غضبتها المضحكة, لكنها غلبته بخفة ظلها وجعلته يكركر.

ولِغرفتهما موقعًا مميزًا فوق بناية من ثمانين طابق! وكان العارفون بشأنهما يرددون دائمًا "فقيران في القمة" ويُمكن القول أنهما باستطاعتهما رؤية دمياط كلها من موقعهما, حتى جزيرة رأس البر البعيدة ولقطة النيل الهاجم على بحرها الهادئ واضحة تمامًا, وغالبًا ما تحتضن السُحُبُ مكانهما وتصبغهُ بصبغتها ليَظُن الناظر أنهما واحد, ومن وجهة نظر رأسية, فإن الغرفة تشغل أقل من ربع مساحة السطح, وكانت دولت تُثبت مائدتين, واحدة في وسط السطح لها ونيس, والأخرى عندَ الحافة, تضع عليها الحب والماء ليملأ الطير الضائع والمهاجر حوصلته.

أقبلَ نِيس على المائدة مرتديًا قميصًا ربيعيًا فاقع الألوان, مطبوعة

عليه صورًا لأنواع من الزهور الجميلة, تحسبه حديقة متنقلة!
وفرشت جدته المائدة بالطعام, الذي هو خبز أسمر وجبن أبيض وشاي بالقرنفل, وقالت وهي تقسم رغيفًا وتعطيه أكثر من نصفه:

• قريبًا.لن يصبح عندنا خبز !

• سأشتري

قالت بأسى

• قضيت سنوات هنا .أرى كل شيء .لكن لا أحد يراني

• لعلكِ مُخطأة

• نعم .عشر مرات .عشرة أطباء ..عشر زيارات

• أعدَكِ.سأصطحبك إلى النيل.أو ..ما رأيك لو نذهب الآن

• صدق أنَ نملةً ابتلعت فيلًا .ولا تصدق أني سأفعل الذي تريده.. امرأة في مثل عمري لا يمكنها حتى المشي دون عكازها .وتسكن فوق ناطحة سحاب.وعقد يمنعها من ركوب الأسان سير إلا إذا كانت طالعة.هل ستفكر بما تقول بجدية!

أحضرت مشطًا واسع الفوارق, ومِرآة صغيرة مستديرة لها زراع تُمسك بواسطتهِ, ناولتها لنيس وراحت تُمشط شعره, أذهبته إلى جانب وثبتته بيدها, و أسقطت خصلة على جبهته ثم أظهرت قلم كحلي ومشته على أهدابه وحاجبيه فثقلتهما, فعلت هذا وهي تردد, أو بوصف أدق ;تُغرد:

• سُنة حبيبي لحبيبي .سُنة حبيبي لحبيبي

وأكملت تغريدتها بِ:

• أجمل كائن .ثق بنفسك

***

وقف على رأس السلم الخلفي للمبنى، وأطلق عينيه تتفحص المكان, وحين تأكد ألا أحد يراه, امتطى سور السلم (ترابزيين) كالأطفال ونزل عليه, و رغم أن الحال لا يعجبه, وطالما تمنى السماح له بركوب الأسانسير مثل غيره, لكن مشاعره كانت تهيج سرورًا, وأراد لولا يقاطع رحلته أحد.

فاجأته فتاة طالعة نحوه, أفلت نفسه بسرعة, وقَع و تمخطر جسده على درجات السلم وكادَ يكسر عنقه, تمنى لو أن الفتاة لم تراه, وبسرعة; لَمَّ رزانته و رتب نفسه ليظهر متزنًا أمامها, و كلما اقتربت ازداد توتره وكأن الشمس هي التي تقترب, أصبحا وجهًا لوجه, فرتعشت أطرافه وخافَ, واذ بصرخة أسمعت سكان الكواكب البعيدة, لم يعرف لماذا حملقت في قميصه المزهر ثم صرخت في وجههِ كالتي شاهدت وحشاً! وتركته في مكانه مهرولة إلى الخلف, اختفت في وقت قليل, وذهب توتره وأصبح من وجهة نظره حرًا, وعاد يُمارس جُزء من الجنون المشروع في مثل ظرفه, وبعد توقفاته العديدة, ورحلته الطويلة, وصلَ إلى الأرض.

أصبح على رأس الشارع ينتظر سيارة أجره تقف أمامه ليركب فيها, كانَ يُشير على استحياء فلا تُدرَك ماهيته, وجاءه شاب في مثل عمره يسأله

- أَتسمح لي بسؤال؟

حولَ نيس عينيه بطريقة توحي عن قلقه, لكن الشاب ضايقه بإلحاح لا ينتهي:

- أبحث عن مبنى اسمه البُسطاء

تصبب عرقًا وهو يقول

• أسكن.. في.. هذا.. المبنى

- لا أقصد عمارة سكنية .بل مُنظمة تهتم بالفقراء

- أخ.برتك .الحقي.قة

قالها ولم يزد حرف, فشكره الشاب وانصرف, وفي هذه اللحظة, توقفت سيارة أجرة بعد طول انتظار.

• إلى أين طريقك

• الجريدة

• ألف جريدة في دمياط.أي واحدة تقصد

• البُسطاء

الفصل الثاني

شهرٌ واحد فقط انقضى منذ استلامه الوظيفة, وأصبح مألوفًا لدى زملائه أنه الشاب الغريب, ونادرًا ما يظفر أحد بالكلام معه, وظنه البعض من المتكبرين, جاعلين اعتقادهم على أساس وسامته, لكنهم فيما بعد أدركوا سبب آخر, جعلهم يتعاطفون معه ويعاملونه معاملة خاصة, وهو أنَ نيس بينه والخجل علاقة حميمة, وليس خجله من النوع المحمود, بل ما يعتبره الأطباء خطرًا على صاحبه, وكان يستقبل نظرات كل من حوله كأنها لدغات, ويكلم الناس بطرفه.

أما راشد فهو صديقة منذ الطفولة, و شاء القدر لهما العمل في نفس الجريدة, انه الوحيد تقريبًا الذي يمكنه التحدث معه, وهو قصير القامة وبطنه منتفخة أمامه كعربة البطاطا, ويتميز بلسان لا يتوقف عن الكلام.

مالَ حتى بلغ أذن نيس, و ردد بلا توقف:

- مرزوقة .مرزوقة.مرزوقة ..

تغير وجه نيس إلى وجه قلق وهو يقول

- هل طلبتني!أرجوك لا تقل هذا
- نعم تود مقابلتك .ماذا فعلت أيها المسكين ..لا بد أنك فعلت شيء يستحق التأديب .ربما آتي لك بمحامي ليدافع عنك أو دعني أتكفل بالأمر نيابة عنك سأضربها على مؤخرتها الغبية أو ..

ليسَ خبر سار على الإطلاق لنيس أن تطلبه المديرة مرزوقة, على كل حال يجب عليه الاستعداد لهذه المعركة جيدا, أقصد المقابلة.

طَرقَ باب مكتبها, فأذنت حنجرتها القوية له بالدخول, كانت سمينة لدرجة كبيرة وملامحها جامدة ودائمة التجهم, ولم يمنعها ذلك من الاعتقاد أنها أفتن النساء وأكثرهن جمالًا, و دائمًا تنعت نيس بالقوقع, فهي ترى صفات مشتركة بينهما, وفي ذات الوقت له في قلبها مكان, ومتعتها بهِ كبيرة, لكنها تحد رغبتها وتحد غرائزها أمامه, ومُعظم عتابها وتجمدها حجاب لباطنها الملهوف, وفي الحقيقة هي من وفرت له الوظيفة, فمرة كانت تزور مُنظمة البسطاء و رأته صدفة, فصممت تعرف عنه كل شيء, وهي تقول أنها على سبيل المساعدة وفرت لهُ مكانًا في الجريدة التي هي جزء من المنظمة, وتحمل ذات الاسم.

المديرة مرزوقة وهي تشبه بلون سينفجر في أي لحظة

• هل اشتريت هذه الجريدة لحسابك .المفروض أن تكون هنا منذ ساعة.أيستغرق تصفيف شعرك الناعم كل هذا الوقت .ثم أتعجبك ثياب الأطفال التي تتزين بها .اليوم ليس العيد يا عزيزي .هذه الجريدة من أهم الجرائد وأكثرها تطبيقا للنظام والحزم .هذا ما عليك إدراكه أيها القوقع

هدأت قليلا ثم أردفت بوجه حذر

• سترتبط بفتاة يا نِيس؟ الاخبار في هذه الجريدة تنتشر بسرعة .هل هي زميلة لك ..هاَ ؟

فأومأ رأسه بلا, وهمسَ همسًا لاحظته مرزوقة التي قالت وهي في

شدة انفعالها

• أين صوتك..لا أسمعك

وقالت في نفسها "لماذا يكون أكثر الرجال وسامة أكثرهم خجلًا!"

نيس بصوت بدا مسموعًا

• كنت أقول .لم يحدث شيء

مرزوقة بارتياح

• حسنًا .وما حال جدتك العجوز

• بخير

مدت يدها إليه لتصافحه وهي تقول

• أبلغها تحياتي

ثم خلعت يدها وعادت ثائرة

• اذهب الآن .ماذا تنتظر

وهي بمفردها, قربت يدها التي صافحت نيس وقربتها من أنفها, لتستنشق عبير؛ غير موجود سوى في مخيلتها .

***

ألزمت مَيس نفسها غرفتها و تكومت خلف الباب, حاولت جاهدة الخروج من حال الخوف المسيطرة عليها وتجعلها ترتجف بشدة, و لاَحَظَ والدها فاظة الورد مُحطمة في وسط البيت, والخادمة على وجهها القلق, وكان خلاف قد وَقع بينها و ميس منذ أيام, فظن الخلاف تجدد وكاد يفصلها عن عملها, لكن ميس تدخلت في الوقت المناسب وبينت سبباً آخر .

و هي فتاة جميلة, لها وجه مستدير وبشرة ذهبية لامعة, وشعرها

مجعد لا يتجاوز كتفيها, و مائل إلى البني, وتمتاز بجسد يتناسب مع طولها ويجعلها أشبه بعارضات الأزياء, ولتعلقها بالحضارات القديمة؛ التحقت بكلية الآثار, وتبقى لها سنة واحدة لإنهاء دراستها.
أحبها أبوها أكثر من كل شيء, فهي الابنة الوحيدة التي فقدت أُمها في صغرها, وتمثل له أسرة كاملة, لكنها كثيرًا تختلف معه في نقاط, على سبيل المثال, يرى هو واجب الفصل بين الأغنياء والفقراء في المعاملة, لكنها لا ترى هذا أبدًا, حتى أنها عضو مميز في العديد من الجمعيات المهتمة بالفقراء.

لم ترث طابع والدها الأرستقراطي, وفضلت الانطلاق بلا قيود والاندماج مع الناس دون فصل, ويُلحظ ذلك مليًا عند الإطلاع على قائمة الأصدقاء خاصتها, معظمهم من الطبقات الوسطى والفقيرة, ولُقِبَ والدها بالسيد, ليس لخلقه أو ما شابه, بل لثروته الكبيرة. كان لا يمنع عنها حاجة تطلبها, وبين الحين والحين يسرد عليها قصصًا عن أصول عائلته العظيمة, ويُذكرها بمكانتها العالية وما يجب الظهور عليه أمام الناس, وكعادتها تجادله وتقابله بحصيلة الإطلاع لديها, وقال لها ذات مرة

• أنا لستُ قاس القلب يا ابنتي .. هؤلاء الناس لهم الحق في الحياة .ولكن مع بعضهم.. كما لنا الحق في العيش مع بعضنا أنا وأنتي ومن شابهنا في الأصل والمكانة.. وتظل العلاقة بيننا وبينهم .مساعدة من عندنا واحترام من لدنهم

• هذا صحيح.. ولكن ما قيمة المساعدة التي نقدمها إذا كنا نشمئز من النظر الى وجوههم

رسمت ابتسامة مزيفة ثم أردفت

- قبل يدي لأعطيك قرشًا .وقدمي لأستمر في العطاء .هكذا تريد
- وهل في دمياط فقراء! ..لا أعتقد
- علينا مساعدتهم في أي مكان.. ونعم في دمياط فقراء.. أعرف اثنين منهم.. لكن بيتهما أغلى من بيتنا!

كانت من الذين يجوز وصفهم بالفئة المثقفة, وخصصت النصيب الأكبر من هذه الثقافة للجزء المنسي من العالم, أي الفقراء, وفي نفس الوقت كانت أكثر الفتيات مرحًا وحبًا للحياة, فهي تعرف أين ومتى يجب الفصل بين الأشياء.

***

أمطرت السماء طيرًا على مائدة دولت, ليلتقط الحب المنثور ويبل ظمأه بالماء, وأحيانًا يشغل أجزاء من جسد العجوز مثل رأسها وكتفها كأنَ بينهما ود, وفرشت حصيرتها وجلست عليها ثم أسندت ظهرها إلى جدار غرفتها, وتابعت زوراها بسعادة, ثم نادت نيس..

- نيس .تعال .أتوا ..أتوا

فخرج إليها وشاركها جلستها و تابعاً الطير سويًا, و أصغى رأسه إلى حجرها فسابت يدها تخوض في رأسه وتفرق خصلات شعره, ليغمض عينيه متنعمًا, وكانت الشمس على حافة الوداع و النجوم أشرفت على الترقرق في السماء وقالَ نيس

- هي السعادة .عندما تهبط هذه الطيور إلينا
- بل أنا وأنت صعدنا إليها

نيس بعد تنهد

- مرزوقة تُرسل لكِ التحية
- امرأة طيبة .لكن مجنونة
- أنتِ محقة .هي أغرب شيء قابلته
- انظر إلى هذا الطائر .الأول يمينًا

قالتها وهي تشير إلى مائدة الطير, فنظر نحو ما قصدت, لتستطرد

- لم يأكل إلى الآن.. وهذا الآخر الواقف هناك!

وأشارت فعرفه نيس ثم تابعت كلامها

- أيضاً لا يأكل! ولكن انتظر

وبعد وقت, أكلا واحد تلو الآخر, ثم توقفا, ثم أكلا من جديد, كانا يتبعان بعضهما بأسمى درجات التفهم و الانسجام وأكملت دولت كلامها

- هما على ذلك كل يوم .أنا أتابعهما .وهما ذكر و أنثى.ولا تبدأ الأنثى الأكل إلا في ظهر الذكر .أغرب شيء قابلته!
- ربما تخافه فمنقاره حاد كما ترين
- أيضًا لديها منقار .هي تحبه
- بل تخافه
- السماء واسعة .والطيور كثيرة .. فضلت البقاء معه لأنها تُحبه .صدقني
- أصدقك .ولكن صارحيني .هل شكلي مُخيف!
- لماذا تقول هذا!؟
- في الصباح .قابلت فتاة عند السلم.. عندما رأتني خافت وهربت

• لعلك تقصد الفتاة التي كانت هنا!

• أي فتاة ؟!

• زارتني صباحًا .كانت مرتبكة للغاية .وقالت أنَ شخصًا خضها أثناء صعودها!

• بالطبع لن تصدقِ أني هذا الشخص .لكن .لماذا زارتك!

• سمعت بحكايتنا .وعن الطريقة العجيبة التي حصلنا بها على بيتنا .فجاءت لتعرف أكثر .حتى أنها تجاهلت الأسانسير لتقترب أكثر من حياتنا.أراها ندمت كثيرا

الفصل الثالث

خلعت مرزوقة نظارتها ورمتها أمامها بعنف, وفيما عُرِفَ عنها يعتبر هذا مؤشر خطير ودلالة على
شر آت, ووقف نيس أمامها وفي كتفه راشد كأسرى الحرب.

- ما اسمك يا راشد

فردَ عليها مُبينًا سخريته

- رمضان وينادونني بخليل!

قالت بهدووء

- أنت ذكي .سأمنحك أجازة اليوم دون مرتب .اذهب إلى بيتك هيا

ثم سألت نيس عن اسمه وكان راشد لا يزال واقفًا, فمال نحو نيس وهمس

- قل لها فوزي!

ثم تركَ المكتب, و فكر نيس قليلًا ثم قالَ

- اسمي نيس راضي إحسان
- رائع .هذا اختبار ذكاء أقوم به لجميع الموظفين .وكما رأيت .راشد أخفق .لكنك نجحت

لم يعرف نيس بهذا الاختبار من قبل, و تسلل داخله أنَ وراء الأمر شي تخفيه مرزوقة, وراحت تبحث في درج مكتبها عن شيء ما, لكنها لم تجده, أو على الأقل بيَنت ذلك.

- كنت أبحث عن هديتك

هكذا قالت , واقتربت منه أكثر. أكلته بعينيها, فحاول الإفلات من قبضتها , فأردفت

• لعلي نسيت هديتك في البيت .ما رأيك لو ..

لسانها تجمد فجأة, ثم أودت نفسها بعيدًا وهي تحاول الكلام دون فائدة, عادت الى كرسيها واسترجعت هيبتها ووقارها

• انس الأمر .اسمع أيها القوقع ..إنهم يجهزون للجريدة مكانًا في مبنى المنظمة .وسننتقل إلى هناك بعد وقت قليل.وبما أنكَ ستكون في موطنك .مع النجوم .فربما يسعدك الأمر .أهو يسعدك؟

• دون شك!

مرزوقة وكأنها تنادي شخصًا في بلد آخر

• اذهب إلى متحف رأس البر وأحضر صورًا حصرية للأثر

• كما تريدين سيدتي

وقال في نفسه "أي أثر هذا!"

وفي جزيرة رأس البر الواقعة داخل حدود دمياط, اكتشفَ شخص ما بالصدفة, قطعة حجر من الجرانيت الأبيض, في طول خمسة أمتار وعرض ثلاثة, كانت تُغطيها الرمال, ونال الاكتشاف حظ كبير من الاهتمام, فهي تحمل كتابات فرعونية غير منظمة و يصعب تكوين جملة واحدة منها, حتى استخلاص كلمة يعد أمر صعب, واجتمع العلماء والمتخصصون في المصريات لعلهم يعرفون ما وراء هذه القطعة النادرة, وما ترمي إليه الحروف الهيروغليفية المبعثرة على أنحاءها, ورجح أحدهم أنها أداة استعملها المصريون القدماء لتعليم الحروف, لكن هذا القول لم يُثبت نجاحه, وتجددت الأبحاث

والنظريات, لكنها محاولات لم تُنتج جديدًا

"هذا مكان أبدعه إنسان مصري مُعاصر ليحوي آيات حضاراته العظيمة"

بهذه الكلمات القليلة تحدث مرشد سياحي إلى فوج من السائحين العرب, وكانَ نيس و راشد على مقربة منه , فأراد نيس من صديقه أن يسأل المرشد عن مكان القاعة التي تحوي الكتاب

• اسأله أنت .أنا لن أتقاض أجرًا على هذا.. مرزوقة المجنونة أعطتني أجازة لمدة يوم .قل لي يا صديقي نيس .أكانت إجابتك صحيحة .وهل بينكما قصة وأسرار .ألا تشرك صديقك المسكين معك! اقسم الخير يعود إليك أضعافه.و أيضا قل لي .هل ..

نيس متذمرا

• توقف .اسأله عن الكتاب

• نحن نكتب عن الفقر والمحتاجين .ما الذي يجبرنا على تصوير الآثار .هذه المرأة السمينة جننتني .أم أنها تريد حشو الجريدة بأي شيء! هي تحب اسمك.أنا أعرف ذلك بفطنتي .بالمناسبة أخبرتني جدتك عندما زرتها أنَ والدتك سمتك نيس لأنك وُلدت في مدينة اسمها نيس في فرنسا .هل هذا صحيح

وذهبَ نيس إلى المرشد يسأله مضطرًا, بعد أن أحدث راشد له صداعًا, وكانَ يرتدي قميصه المزهر, ويعلق في رقبته آلة تصوير صغيرة, وحسبهَ المرشد للوهلة الأولى سائحًا.

وكانت ميس في ذات المكان مع زميلاتها, وأوصلتها الصدفة بِنيس الذي عرفها أول ما رآها, إنها الفتاة التي قابلته عند السلم!

تغير وجهها وانقلبت قلقة كالمرة الأولى، واستغرب راشد حملقتها في نيس قبل هربها، وعرفَ بقصتها من صديقه، فراح إليها ليعرف سرها، وكانت بين زميلتها ويحاولن تهدئها بكل السبل ..

- مرحبًا .أنا صديق الشخص المخيف .الذي كلما ترينه تهربين!
- قل له .. شكلك بدون القميص أفضل

فظنَ الذين لا يعرفونها في كلامها مُراد غير مُحتشم، وتبادلن اللمز والغمز، وقال راشد

- هاااا! سأخبره أعدكِ.. ولكنه ليس كما تظنين!

ميس حانقة

- ماذا تقول!
- لا أقصد شيء .. هو يقول لكِ .. لماذا تهربين كالمجنونة

كان قد أضاف كلمة مجنونة من تلقاء نفسه، فاغتاظت، لكنها استجمعت قواها و أظهرت أنها لا تبالي

- لا تخبره بشكله الطفولي .فقط قل له ترابزيييييييين

قالتها وانقلبت ضاحكة .و من ناحية أخرى، امتلأت القاعة المُخصصة لعرض القطعة الآثرية بالناس، بعضهم يلتقط الصور التذكارية، والبعض جاء لغرض بحثي أو تعليمي مثل ميس، و انشغل نيس بالبحث عن زاوية تمكنه من التقاط أفضل صورة، ووضع شرطًا غريبًا، ربما ليسَ مهما لإخراج صورة جيدة، ولكن لغرض يكمن في أعماقه، وشرطه أن يقف في مكان منعزل عن الناس، ولأن أمنيته يصعب تحقيقها في مثل هذا الوقت، فكر في ترك المكان، كما أراد الانسحاب من الجريدة نفسها.

اقترب..

ثبتت عينيه على الأثر ..

فجأة ..

جُذِبَ إليه جذبًا, ولم يعرف عن الجاذب شيئًا, لكنه انصاع لأمره دون إرادة, وهنالك, أصبحَ له شريك طالما كان ندًا, لكنه الآن يتقاسم معه الشعور بالدهشة ويُصدقه حيرته, هي ميس ..

راقبتهما الناس بعيون متسعة و أفواه فاغرة, وبعضهم بحث عن رقم مستشفى قريب يهتم بالمرضى الخطيرين! وركزا أعينهما على الحروف, حملقا واقتربا في ذهول فاضح.

قالت

- هل يمكنك قراءته؟!
- نعم
- أشعر .شيء ما يحدث
- أنا وأنتِ فقط نشعر
- افهم كل شيء .لكن لم أدرس الهيروغليفية هكذا!
- أنا لم أدرسها في حياتي .. كما قلتِ .شيء غريب يحدث

دققت في الكتابة أكثر, ثم نظرت الى نيس تضحك بتعجب, وقالت

- ما هذا! أنا أُحبك أنت.. كيف!

وحسبَ راشد أنَ صديقه يتغزل في ميس, فاجأه ذلك و أدهشه, كيف لنيس الذي لم يحدث امرأة في حياته سوى جدته ومرزوقة أن يتجرأ ويُغازل فتاة! ومنذ لحظات فقط كان الخجل يمنعه حتى عن الكلام, فأنى فعل هذا! بهذه الكلمات الحائرة حدث راشد نفسه, ولم

يكن يعرف أن صديقه مُجبر و شيء ما خلع عنه خجله مؤقتًا أو ربما لوقت طويل, ولأول مرة اقتربت ميس وتحدثت معه ولمسته, فعلت هذا دون هرب أو خوف!

ميس

- مَلَكَان و ظبي طيب
- أشعر أنني هناك .يمكنني لمس هذه الأشياء
- هذا الرجل الأسود.. انه وسيم للغاية .هل تراه!
- نعم أراه
- أشعر بغثيان
- وأنا .أشعر .بغث.ي!

***

كانَ ممددًا فوق سريره الطبي,وخراطيم الهواء تلفه من كل جانب, وجهاز قياس نبضات القلب يُشير إلى وجود حياة, وتُطمئن صفارته المنتظمة طاقم الأطباء الذي يشغل كل شبر في الغرفة, وفي الغرفة المقابلة, ترقد ميس وتمر بذات الظروف التي يمر بها نيس.
لا أحد يعرف على وجه الدقة متى يسترجعا وعيهما, أو حتى السبب وراء ذلك, وكل ما يُقال أنَ صدمة قوية هي السبب, ويمكن لهما استعادة الوعي في أي لحظة, لكن هناك حالات قد تظل لفترات طويلة, علميًا هذا صحيح, وطلبَ والد ميس سفر ابنته خارج البلاد لعلها تجد رعاية أفضل, لكن الأطباء قالوا أنَ النتائج ستكون واحدة, واستطاعت مرزوقة جعل دولت تستعمل الأسناسير ليتثنى لها زيارة حفيدها, بعدما بينت استثنائية الموقف و إنسانيته!

مرت الأيام وشيء جديد لم يحدث, ولم يمر صباح دون أن تحاول دولت إيقاظ نيس على الطريقة المعهودة بينهما, كان يخيب رجائها في كل مرة فتزداد حزنًا و وهنًا, وطلبَ راشد منها العودة إلى بيتها, ووعدها بعدم مفارقة نيس يوم واحد, ففعلت غير راضية , وأحضر لها جهاز حاسب خفيف, وسلطَ آلة تصوير على وجه نيس وظيفتها إرسال صورًا مباشرة إلى الحاسب الموجود عند دولت, حتى تصبح .معه.

وكانَ والد ميس يزور ابنته باستمرار, ويرجو عودتها معه سالمة, فلم يعد في بيته الفسيح حياة, هو يقول ذلك باستمرار, وعَرِفَ أنَ شابًا يقطن في الغرفة المقابلة يعاني مما تعانيه ابنته, وأنه شاركها كل شيء, فجعله الفضول يذهب إلى غرفة نيس مرات, وحين يرجع إلى بيته ويرمي عينيه في أنحاء غرفة ابنته يحوطه الحَزن, وذات مرة, قلب في أوراقها ليستعيد ذكراها, فصادفته ورقة عنوانها "فقيران فوقَ ناطحة سحاب .أغرب شيء قابلته"

ومكتوب بخط يدها

"اسمي دولت.. هاجرت مع زوجي إلى دمياط منذ سنين هربًا من الفقر حيث أنها الأرض الحية في كل مصر وكان معنا حفيدنا و بنينا بيتًا وعشنا حياة مستقرة لكن الأمور بدأت تتغير عندما طمعت الحكومة في موقع بيتنا وقالت أنه مميز و عرضت أموال قليلة لنتركه فرفضنا ولجأنا إلى القضاء فحكم لصالح الأقوى وهدموا بيتنا وبنوا مكانه برجًا وظللنا نبيت أيام ثقيلة عند من يعرفنا ثم مات زوجي وتركنا نعاني ويلات الحياة فعدت إلى القضاء طاعنة

وطالبتهم الرأفة بنا والنظر إلى حالنا فمنحوني غرفة فوق ناطحة سحاب وليس من حقي ركوب الأسناسير ولكنهم وبكرم ما بعده كرم عدلوا العقد لأستخدمه فقط أثناء الطلوع كانوا يُعقدون الأمور كي أرحل ولكن إذا كنت فقيرًا فإلى أين تذهب"

وفور أن خلص من القراءة, انطلق إلى المستشفى وتوجه نحو غرفة نيس مباشرة,قَصِدَ لافتة ورقية كبيرة تغطي جزء من الحائط طولًا وعرضًا, مكتوب فيها

"نيس حبيبي .استيقظ .الشمس طلعت والقمر غادر .جدتك دولت"

الفصل الرابع

كانت سحابة عظيمة تزحف في الأفق, ببطء, وبدا كأنَ سُحُب أصغر حجمًا تنسلخ منها, لكن سرعان ما تبينَ أمرها, إنها مجوعات من الطيور المهاجرة, تشق السماء بقانون لا يجوز تعديه, فتهيكل طيرتها بأشكال منظمة, تحسدها عليها جميع المخلوقات.

أراد طائر أن يكون فضوليًا, أعجبته الأرض التي أسفله, فقرر التخلي عن سربه و أسقط نفسه إليها. ويمكن القول أنه مكان مختلف, وبين طياته خيال فاقَ كل ما جمعت العقول من خيالات, ويسهل على أي شخص من نظرة واحدة الجزم بهذه الحقيقة..

شمسٌ دافئة على الدوام, وهواء كأن له رائحة الفردوس, ونهر طويل ماءه كريستالية هادئة, وعلى طول جانبيه نبات وشجر, بعضه مألوف وبعضه غريب و مُدهش, وجبال حمراء وبنية, كبيرة وصغيرة, وبحر تتعاشق ماءه مع ماء النهر ومساحات خضراء واسعة.

وقفَ الفضولي صاحب الريش الأبيض والمنقار الملون على فرع شجرة, و رمى عينه على طول النهر, ليلحَظَ طيفًا لأحد من بني أدم مُقبل نحوه, لا هو بطويل أو قصير, عيناه جميلتان و أنفه دقيق, وجههُ وضّاء, ربما أجمل كائن! أو بأقل تقدي ; هبط الأرض صدفة. والصدق الذي في عينيه-لم يعرف الفضولي هل افتعلهُ أم من صفاتهِ حقًا- كان مزج بين براءة طفل وحكمة و رزانة رجل أو شيخ

أو قديس .
انه نيس! مُرتديًا قميصه وبنطال أزرق كلاسيكي, وكان القميص غير مزرر فبانت أجزاء من جسده وهي في تناسق تام, كسباح رشيق, ولما اقترب من الفضولي, طارَ الآخير إلى شجرة قريبة, وراح يُتابع نيس بحذر وإعجاب.
ما هي إلا لحظات و ظهر نمر مخطط من بين الشجر, ظهر فجأة, مُبرزًا أنيابه و عابس الوجه و ضرضرته تملأ القلوب خيفة, فكركر الفضولي وأحدث ضجيجًا يتناسب مع حجمه الصغير ليجذبه نحوه ويفلت نيس, لكن دون فائدة, و أصبح الأمر يتعلق بسؤال واحد, هل هو جائع ؟!
حكَ أنيابه برجل نيس, ليظن الآخير أنه مأكول مأكول, ولا شفاعة لعرق أو رجفة, وفي أثناء ذلك, هاجَ البحر وأخرج تمساحًا أفزع الجميع, ضخم جدًا و منظره يخلع القلوب وهجمته لا تبق عظمًا, فرَ النمر واختفى, وثبت الخوف نيس وجعله جماد لا روح فيه.
نَزلَ الفضولي إلى الأرض, و نفش ريشه مُعلنًا عن هجمة, ولولا الموقف معقد لضحك نيس على تصرفه, لكنه أظهر جسارة, ووقف على زيل وظهر و رأس التمساح وهراه نقرًا, فضايقهُ وألهاهُ عن وليمته, انقلب التمساح على بطنه, كان يحاول التهام الفضولي لكن لم يقدر, وعاد إلى النهر كُرهًا, وحقق الفضولي عملًا بطولي يستحق عليه التقدير والشكر, ومالَ نيس نحوه ليشكره, لكنه طار.
شعر بمعدتهِ تئن, والبطون اذا أمرت أُطيعت,هذه قاعدة معروفة, فتوقف عند شجرة تفاح عظيمة,لا تشبه كل شجر التفاح الذي رآه

في حياته, فروعها كثيرة وعريضة, وتحتاج مجهود ووقت طويل لتسلقها, استطاع فعل ذلك وجنا من ثمارها دون أن تجتمع في يده ثمرتين, فكل مقطوفة مأكولة, ولما شَبع, أبت حاملتاه السير خطوة, ليس كبرياء, إنما من التعب الذي أنهكه. فتهالكَ على فرع وعينيه نحو السماء, وكانت الشمس وقتئذ في وداع, فأعجبه منظرها وظل ينظر إليها حتى غلبه النوم, وهو في نومه كأن وسامته تضاعفت.

***

أشرقت الشمس وأرسلت نورها, فجعلته يتقلب على مرقده الذي هو في الأصل فرع من شجرة التفاح, ولما انسحبت أجفانه وأذنت لعينيه النظر,رأى وجهها القمري يملأ الأفق, إنها ميس-كان يتذكرها وهي كذلك- تقف على فرعهِ وتفتح عينيها على آخرها مذهولة, فتقهقر وطوقه الخجل و تحول لدمية مسلوبة الإرادة والقرار, وتفاجأ بصدره عاريًا!

- أنتَ مرة أُخرى! أنا خلعت عنكَ قميصكَ

حدق في عينيها ثم سحب عينيه إلى بعيد بهدوء , فأردفت ميس

- لماذا لا تتحدث .هل أنتَ أبكم

فبدا أنه سيجيبها, لكنه اكتفى بتحريك شفتيه دون صوت, ولم يعجب ميس الأمر, فحدثت نفسها بكلمات لو سمعها لظنها سباب! وكان ينتظرها أسفل الشجرة مجموعة من النساء والأطفال وقليل من الرجال, جميعهم سود البشرة, سواد كعبي تهواه الأعين, يتميزون بأعين خضراء كأوراق الشجر في ربيعه, وللنساء شعر أملس حالك السواد يصل إلى آخر ظهورهن, بينما الرجال حليق

الرؤوس، ويرتدون قِطعًا من القماش الأبيض، واحدة تستر أسفل بطونهم، والأخرى من الكتف إلى الصدر، وكانت ميس ترتدي مثلهم، واستمتع نيس بالنظر اليهم، وهم أيضًا كانوا يشاهدونه بإعجاب .
وأخذ الجميع ينادي ميس، فلاحظ نيس أنهم يتحدثون لغته التي يفهمهما بضبط واحكام، لذا فَهِمَ قصدهم، وعَرِفَ أنَ الفتاة اسمها ميس وقالت

- إنهم يريدونك
- يقولون مِيس!

قالت مندهشة

- أنا لا أصدق .أنت تتحدث! نعم اسمي ميس .و أنتَ؟
- اسمي نيس
- أنتَ نيس وأنا ميس .نيس ميس .ميس نيس .هذا جيد
- من هؤلاء ؟!
- كنت أنام هنا منذ سبعة أيام .فجاءوا وأخذوني إلى مدينتهم ..إنهم طيبون .ولا تسألني لماذا نحن هنا أو كيف .. سأقول لا أعرف

وتوجهوا جميعًا نحوَ المدينة، وكان صاحب الكلمة فيها هو وائِيل، وهو رجل في العقد الرابع واختارته الناس حاكمًا لفطنته وتجاربه، وأمر بأن تُكرم ميس وتُعامل معاملة حسنة، ووفر لها مسكن وطعام، وكرر نفس الشيء لنيس.
وللمدينة سور مرتفع مزخرف برسومات مأخوذة من الطبيعة لونًا و شكلًا، تبرز عليه نمور حمراء مخططة وهي مُنعمة، ولها ثلاثة أبواب ضخمة، وبيوتها مغطاة بالعشب الأخضر كأنها جزء

من الأرض, والطرقات مرصوفة ومخططة بإتقان, والناس تمشي في نظام, وتمهر في صناعة الشبك والقوارب من جلد الدرافيل, ويعيشون على صيد السمك وشجر التفاح المنتشر في كل مكان, كانوا يكتبون ويقرؤون ويدونون كتاباتهم على الحجارة وجلد الأرانب, و يُربون النِمار ويعاملونها معاملة حسنة و يطلقونها في المدينة بحرية كسكانها من البشر, وتستوقفها الأطفال للعب, وقانون المدينة يضمن لها حياة آمنة.

وكانت الناس كلها تعمل, رجال ونساء, كل في مكانه, واذا امتنع نفر عن العمل يوم عن كسل,يُذم ويُنظر له نظرة المنبوذ المكروه, ولا يُكلمه أحد, ويُكتب على جبهته جماد, ويُعامل معاملة التراب والحجارة, وليس في المدينة فقير أو لص, ولا يتعاملون بالمال, فلهم ساحة يأتون اليها بما عندهم من طعام أو ملبس أو أدوات أو عِلم, ويأخذ كل واحد ما يحتاج دون طمع, والفائض يُخزن.

ولا يجوز لرجل أن يُعاشر امرأة الا بعد حفل تشهده المدينة, ويمكن أن يتزوج بأي عدد يشاءه من النساء, شرط أن توافق المرأة الاولى وحدها, دون اكراهها, فاذا أراد الرجل امرأة ثانية ليتزوجها رجع الى الأولى , واذا أراد ثالثة رجع الى الأولى, واذا أراد رابعة رجع الى الأولى, فاذا ماتت, أصبح الأمر بيد المرأة الثانية, وهكذا.

وكل عائلة تهتم بطفلها, فتعلمه القراءة والكتابة, وتهتم بجسده, وتجعله يرث حرفتها, وتُقاس مكانة الأفراد بعلم يعرفونه مع حرفتهم, كالفلسفة والحساب والطب وغير ذلك, فالعالم دون حرفة والعامِل دون علم, أقل في المكانة والتقدير من عالم ذي حرفة.

وفي مكان داخل المدينة, يوجد مكان يُقال له دارُ الحَلِ, كل من له مسألة أو رأي يعرض ما عنده هناك, وله أن يُعرف نفسه أو يطرح ما له سرًا, ثم تجتمع الناس لتجد حلًا لكل مسألة.

وتختار كل عائلة رجلًا تثق فيه ليحكم المدينة عشر سنوات, ومن اتفقت عليه أكثر العائلات يصبح حاكمًا, وليس للحاكم أي لقب, فهو يُنادى باسمه دون لقب أو كنية أو مدح.

ويصنعون أدوات الحرب, سيوف ورماح وحِراب ونِبال ودروع وغير ذلك, وجيش المدينة هو أهل المدينة من القادرين, ولدي جيشهم قادة ونظام, وليسَ لهم غير عدو واحد..

وأدهشَ ميس هذا النظام الذي رأته غريب, لكن أكثر ما أعجبها, هو أنها لم تجد فقيرًا بينهم, أو حادثة سرقة, حتى أنها قالت لنيس

- أودُ لو أرجع الى عالمي وأعود بفقير واحد الى هنا .أودُ أن أُشاهد رد فعله.

واكتفى نيس بصمته, ومع مرور الوقت, لم يكن يُكلم أحد سوى فتات كلام, ولا يخرج من بيته إلا وقت الضرورة, وحينَ يخرج, تجمعن الشابات بعضهن لتقفن على بابه و تتأملن شكله الغريب وخلقته الجميلة, وبعضهن يصددن جاذبيته وأخريات تسقطن, وعَرِفَ وائِيل بحال نيس, فأرسلَ إلى ميس يسألها

- ما حال صاحبك؟!
- صاحبي خجلان!
- الخجل زينة وأدب وخلق نبيل لكن المبالغة فيه صد وعزل وعناء

وقررت مساعدته, فغنت ورقصت وقلدت أصواتًا دون أي نتيجة,

انقلبت مهرجًا وقالت النكات فضحك الناس جميعا إلا هو! وفي سبيل ذلك، تعرفت على فتاة اسمها بَشُوشْ، وذهبتا معًا إلى شجرة على أطراف المدينة يسكنها غراب أسود وقرد من فصيلة الشامبانزي، لا يتحدثا مثل البشر لكن يفهمان ما يُقال ، وحكت لهما ميس عن خجل نيس.

***

كل صباح.. تخرجن النساء بصحبة أطفالهن لجمع ثمار التفاح من الشجر المحيط بالمدينة، وحاولت ميس إقناع نيس بالخروج، بذلت مجهود كبير، ونجحت في النهاية، وليس هذا سوى تنفيذ لحيلة اتفقت عليها مع صديقاها الجدد، وكان الشامبانزي واقفًا على شجرته أثناء خروج نيس مع الباقين من باب المدينة، وعندما وقع نظره عليه، صاحَ وأصدر حركات تعبر عن رأي له، أشار إلى نيس ثم إلى صدره هو، كأن هناك شيء يربطهما، أو أنه جميل الخلقة بين أقرانه مثله، وهذا ما فهمه الغُراب، لذا رفرفَ وأنعق ساخرًا، فتضايق صاحبه وحاول الإمساك به، فهرب إلى آخر الشجرة، و فجأة، هبط الفضولي على فرع الغراب، أمامه مباشرة، فدقق صاحب الشجرة في شكل الزائر الجديد لتتمكن منه الغيرة، ونفشَ ريشه للضيف وهدده بمنقاره، وجعله يهرب دون تردد، وعندها تقلب الشامبانزي على فرعه من كثرة الضحك.

مشىَ نيس صامتًا، يتبع الذي أمامه في كل كبيرة وصغيرة كالعربة في قطار، لكن ميس بعثرت خطواته عن قصد، و أغشت عينيه عن الطريق الصحيح وضيعتهُ وهي معه، فلامها بغير كلام، واصطنعت

البكاء و ضربت بيد على يد. ذكرت الأهوال إذا جاء الليل, كهجمات الذئاب ولدغ العقارب, و كانت ترفع طرفها خلسة نحو نيس لتعرف رد فعله, لكنها سرعان ما أُصيبت بالصدمة عندما رأته لا يبالِ ولا يريد حل لسانه.

أصبحا قريبان من شجرة التفاح التي كانت مخدع لهما في يوم مضى, فطلبت ميس ثمرة من ثمارها, وأطاعها نيس وأصبحَ فوقَ الشجرة, فانفلتت من يده ثمرة وسقطت على الأرض, وعندما ذهبت ميس إليها, فاجأها ظبي بني منقط وله قرنين وحجمه ضئيل ورشيق القوام, التهم التفاحة في لحظة, ثم رفع رأسه الى نيس الذي لا يزال فوق الشجرة, وتحدث بلسان وصوت إنسان, وطلب تفاحة أخرى!

لم يعرف نيس ماذا يقول, كل ما فعله أنه وقف يُشاهد مذهولا, وميس لم تصدق. هزَ الظبي رأسه وهو يعيد طلبه, فألقى نيس له تفاحة أخرى وأكلها دون تردد, ونزلَ و دار حوله مرات هو و ميس, كانا يتأملانه عن كثب, وأحنى الظبي لهما قرنيه بأدب, ومالت ميس ناحية أذنه وهمست

- أنتَ أرسلك القرد و الغراب .أليس كذلك ؟!

قالتها بثقة, لكن الظبي هزَ رأسه بلا, فقالت

- كيف تتحدث مثل البشر
- وجودكما هنا أغرب

وقال نيس للظبي

- هل تعرف سبب لهذا
- أنا طيب وسأقدم لكما المساعدة

وقاطعَ الحديث كذا قرد من فصيلة الرباح, خرجت من كل مكان, أفواههم فاغرة ولعابهم يسيل- عين الرعب والقرف- فبادرت ميس بالشد على يد نيس و انسحبا خطوات إلى الخلف خوفًا, و هرولَ الظبي وتبعته القردة وهي تريد اللحاق به.
وتمنت ميس لو ينج الظبي من القردة, وهي مُصرة انه جزء من الحيلة , وأنه جاء ليؤدي دورًا أمام نيس, ورأته نجح في مهمته, وأثناء مشيهما, خرج الشامبانزي عليهما وسد الطريق, فرد زراعيه وجز على أسنانه, وبينما هو في ذلك, غمز لميس بطرفه وكأنه يسألها عن رأيها, فتجاهلته, ثم جرى نحو نيس بسرعة, فعل هذا بغتة, فتعثر وسقط على الأرض كالميت, ونظرته ميس بحسرة ولامت حظها التعس وتركته يعاني من الألم.
لم يرض بالفشل, وقبل بلوغ ميس المدينة, ظهرَ مرة أخرى, مُقررًا فعل أي شيء ليجعل نيس يضحك على الأقل, فوقفَ وقفة ثابتة وهو ينظر نحو الأفق, حتى جاءه الغراب ممسكًا بإكليل أزهار بمخالبه, ثم تركه فوق رأس صديقه, وبسرعة فَزِعت ميس وجرت كالبرق , وقرر نيس التخلي عن جموده, الفضول أمره أن يعرف لماذا جرت, ذهب وراءها, وبحث عنها فوجدها متقرفصة في جنب

- ماذا بكِ
- الشامبانزي
- هل تخشين القردة !
- لا .فوق رأسه.الذي كان فوق رأسه
- الورود!
- أنا أعاني من فوبيا الزهور!

الفصل الخامس

"لا تنخدعا فيه ..إنه شرير"

قالها وائِيل بغضب واصفًا الظبي, ولم تتوقع ميس هذه الكلمات الطاعنة, فالصورة الجميلة التي رسمها صاحب القرنين لنفسه أمامها لا تفارقها, و حَطَ له في قلبها احترام وإعجاب, فبانَ على وجهها تعاطف معه و إنكار لكلام وائِيل, و أرادته ألا يزيد كلمة, ولم تسأله حتى عن سبب رأيه, و قابلته بسؤال

- قالت لي بَشوش عن عصابة آضال .فمن يكون؟

- آضال هو الحاكم الذي اختاره شعبنا .لكنه نصب نفسه جبارًا .واتخذ من اللصوص والمفسدين رجالًا يُشاركونه شره.غضبت الناس وثارت رافضة الظلم وطردته هو ولصوصه.واختاروني حاكمًا.فكون عصابة.وبين الحين والحين يغير علينا .لكن اطمأنا .نستطيع ردعه.

ثم أردفَ وهو ينظر إلى نيس

• أليسَ لديك سؤال تسألُه ؟

فابتسم فقط, وقالت ميس همسًا لوائِل

• صاحبي لا يزال خجلان!

ثم أردفت

• أنا لدي سؤال.كيف نحن هنا ولماذا .أنتم طيبون للغاية .لكن عالمنا مختلف.أنا لدي عائلة وأصدقاء وحياة أخرى .اعذرني

• تذكري أني حدثتك بذلك أكثر من مرة .أنا لا أعرف عنكما شيء .ويجب أن أسألكما هذه الأسئلة لا أجيب عليها .ستعيشان معنا في سلام .وسأحميكما.

• تحمينا من آضال؟

• لا.بل من الظبي !

***

وفي مكان داخل المدينة, هو سوق كما تراه ميس, جلسَ رجل وجمع الناس حوله يقص عليهم قصصًا, وكانت تُميزه طريقته التي تُسعد الصغار والكبار, فهو قادر على اقناع الجميع وجعلهم يصدقونه رغم أن حكاياته كُلها خيال, ولخفة ظلة فضل كبير في جعله رمزًا من رموز المدينة, اذا ما ذُكِرَ الضحك, قال

• هذه يا ناس قصةُ الحب من نظرة واحدة.. فمن لا يقدر حبيبه أن يحضر يساعده.. وملكة حسناء باحثة عن أجمل عينين.. وشاب رَسَمَ رسمة لعينين سوداويتين.أهدابها مثل عود نرجس وريشة طاوس.. وهي تشبه ذهب النساء وتاج الرؤوس.. بحثَ عن صاحبتها في أنحاء المملكة.. ومرة سمعَ كلامًا عن خبر يخص الملكة.. والتي لم يكن رآها ولو لمرة واحدة.. وعرفَ أنها ستقيم حفلًا تجتمع فيه الناس ليُكشف فيه عن صاحب أو صاحبة أجمل عين.. فقرر ألا يُضيع الفرصة لعله يجد ضالته.ولما جاءَ الموعد.. أقبلت الناس أصحاب الوجوه الجميلة وانغمس بينهم ونيته ليست المنافسة.. أدار عينه هنا وهناك.. وعندما وقعَ نظره على الملكة توقفت حركته ولم يدري ما حدث.. إنها العين التي رسمها! فهل أُوحيَ له فرسم.. تلك

الفاتنة ملكت ما ظل يبحث عنه.. اقترب منها .لكن جنودها منعوه فصرخَ فيهم .هي تعرفني قولوا لها قدرك.سمعت صوت الشاب.. فاستقبلته على أنه صوت من السماء.. صوت وراءه خلق جميل.. وألقت نظرة عليه.كانت تحسبها نظرة ستكون.. لكنها أوصلت النظرات ببعضها.. ثم قالت للناس.. انصرفوا .لم يعد لوجودكم حاجة.. ولما لا! وقد عثرت هي أيضًا على مبتغاها.. فذلك الشاب صاحب الصوت الحاني هو نفسه صاحب أجمل عين!

وهنا توقفَ الرجل عن الكلام, وصفقَ الناس, وكانت ميس وبشوش في وسطهم, ومعهما نيس.

مشيا مع بَشوش بين طيات المدينة ليستكشفا مواضعها, و قابلتهما المارة وبادلتهما التحية والإعجاب, وهي فرصة جيدة ليقتربا من النمور,كاناَ في حاجة إلى وقت للتغلب على الرهبة المسيطرة عليهما, واستعانا بالأطفال, فهم أقرب البشر إلى النمرة, وتبدلت ردود أفعالهما في كل دقيقة, لكنها كانت تجربة غير عادية بالنسبة لهما.

قالت ميس بصوت خفت

• في قلبي سر .هل أفشيه؟!

لكن بشوش قاطعتها زاعقة

• إنه بَكَىَ!

كانت تشير نحو رجل طاعن في السن, أمامه وخلفه جنود يمشون به إلى السجن, والناس حوله حزينة وتزرف الدموع من أجله, ولما سألت ميس صديقتها عن حكايته, ظهرَ أمامهم الرجل الحكاي,

وكأنه خرج من باطن الأرض

• أنا سأحكي لكما حكايته يا سادة .اسمه بَكَىَ .الحكيم وعارف الأسرار بَكى .لما أحسَ بقيامتهِ .أراد أن يُعرِفَ الناس أسرار حياته الطويلة .أو أشياء منها على الأقل .وكرِهَ أن يموت وفي قلبه ما يواريه .فكتبَ كتاب أسماه أسرار وآراها بكى وجمع فيه كل ما كان منه و عنه .. وقال فيه الآتي: أنا الأخ السابع لإخوتي .ماتت أمي وأنا في طفولتي .أبي رجل بين الفقر والغنى ..لا هو فقير لا يجد ما يطعمنا إياه .أو مترفه لديه ما أغناه .كان لا يجبرني على شيء .وتركني أفعل ما شئت .ولم أسمع منه في حياتي صدق أو فعل خير أو قول حسن .حتى طريق العلم لم يدفعني إليه .لكني قررت أن أكون طالبًا .. و معلميني أوقعوا بي الأذى .فلا رحمة في قلوبهم ولا عقول تسوقهم ولا هم مثال به يحتذي.. في أياديهم عصى ثقيلة ومرعبة .ولو دوني أي من الأطفال لكل طفل بكى.. جعلوا عيني أمام العلم مُغلقة .. كَرهت أن أكون عالما .وكلما كبرت ازداد الأمر سوء .ولم يسألني أبي يوم ما حالك .بل كان قوله يا أفشل أهلك .فبغضته وخلعته عن قلبي وصرت متمردا على كل شيء وأعجبت وسامتي غيري من بني جنسي و وفقته .وقطعت الطريق وصاحبت القتلة واللصوص وصرت شيطان ينشر شره وفساده .. كنت عبدًا لنفسي وهي عبدت هواها.. وظللت على هذا الحال إلى أن أصبحت بين الشباب والرجولة فوجدت روحي تميل ناحية الشعر.. فكتبته وأعجبَ الناس .ولما قرأت الكتب ودرستها استقام عقلي واطمأنت نفسي .وتغلغل داخلي شعور أن كل ما كان مني ليس

فيه من الصواب شيء .. هذا ما كتبه بكى يا نااااس .آملاً أن مكانته ستجعل الناااس تغفر أخطاءه لكن قلة حاقدة عليه وجدتها فرصة عظيمة للتخلص منه .وطلبت أن يُعاقب بكى الطيب .نعم هو طيب .هو أطيبنا .و حُكِمَ عليه بالسجن حتى الموت!

اختفى الرجل مرة أخرى فور أن خلص من كلامه, انه بارع في الظهور والاختفاء فجأة! وقال نيس لميس

- ألا زلتِ تريدين إفشاء سرك؟!

فأمسكت يده, قبضت عليها بقوة, فرفض مسكتها ونزعَ يده, فمشت أمامه ومشى في ظلها, و استوقفت الجنود, واكتفت بشوش بمراقبتهما, كانت تريد الظفر بالحديث مع بكى, ومكنها الجنود من ذلك قالت

- أيها الحكيم بكى .ما قولك في رجل .يهاب الناس ويخشى حتى النظر في عيونهم

أرادَ نيس أن يترك المكان, فهو لم يتوقع ما فعلته ميس, وأنها ستضعه في هذا الموقف المحرج فطالَ الحكيم النظر وكأنه يتفحصهما. وقال متعجبا

- نيس و ميس .المَلَكَان!
- لستُ ملكة وليسَ هو بملك!
- لم أقصدكما أنتما !

ثم أردف وهو ينظر إلى نيس

- أنا ليسَ لي بطل .أعرف أن كل إنسان لديه بطل .ولكن لماذا أبحث عنه وأنا موجود .بطلي هو أنا .. هذه قاعدتي .يُمكنك استعارتها

.كل شيء سُخرَ لكَ لتصبح رائعًا إلا ضعفك .. فهو يُسخرك لتجعله رائعًا .. و تذكر .. لا يمكن لخائف أن يحقق إنجازًا

بدا نيس مشدود لكلام بكي, وقبل أن ينسحب الآخير برفقة الجنود, مالَ ناحية فتاة وقال لهها بصوت مسموع

- قولي لوالدك الغني ..لا تتعال .فكل البشر تؤلمهم قرصة ناموسة

الفتاة غير فاهمة

- لكن والدي ماتَ .و ليس غني!
- لم أقصدكِ أنتِ يا فتاة

ثمَ رفعَ طرفه إلى ميس التي كانت تنصت إلى كلامه بتمعن.

و طلبت من نيس أن يأت معها إلى مكان, ووعدته بشيء سيعجبه, فقبلَ عرضها بعد تردد, ومشى معها إلى هناك, ثم وقفا في ميدان المدينة, وكانت أربعة طرق تؤدي إليه, لكن الملفت للنظر هو قلة المارة ! أو ربما الطرقات خاليه على أخرها! مما أيقظ القلق وعدم الارتياح في نفس نيس.

وقفا في وجه بعضهما, سألها عن سبب وجودهما هنا, فأخبرته بأن لها أصدقاء سيأتون, و رأى امرأة قادمة من خلف ميس , فظنَها صديقتها, لكنها جعلته يلتفت وراءه, فإذ برجل يأتي وراءه, وهكذا عن يمينه وشماله, رجال ونساء وأطفال من كل اتجاه ويقتربون أكثر, وراحوا يبتسمون لنيس ويعرفونه بأنفسهم, كل نفر يقول اسمه, وشجعته ميس على النظر في عيونهم وجعلته يُعرف عن نفسه لهم

- وأنا اسمي.. نيس

الفصل السادس

البعض تميزه قدرته على تعلم أي شيء في وقت قليل. ولعل نيس من هؤلاء, فمنذ يومين فقط بدأ تعلم كيف يقود زورقًا, وها هو يشق النهر به, كأنه وُلِدَ على ظهره. ولازمته ميس رحلته النهرية, وصاحبهما طفلان.

حدث ميس بما رآه من التمساح الذي خرج من النهر, وكيف بإمكانه قضم زورقهما من هجمة واحدة! فسبب لها قلقًا ورمت نفسها نحوه خائفة, فضمها بحركات مهذبة.

أصبح الزورق في بحيرة متصلة بالنهر مُدارة بنخيل زينة, كل نخلة تميل إلى الأخرى كأنهما يتهامسان وقفزا الطفلان في ماء البحيرة وسبحا بمهارة, حذرتهما ميس من التمساح وطالبتهما بالخروج الآن, فقابلا توجسها بضحك لا ينتهي, ثم أظهراَ أنَ شيئًا يجذبهما إلى الأعماق, حاولَ نيس تقديم المساعدة وهو في زورقه, ورمت ميس حبلًا نهايته معقودة في طرف الزورق, لكنهما غاصا واختفيا تمامًا..

ومرَ ما يقرب الدقيقة دون أي أثر لهما, و بينما نيس و ميس حزينان, و ملتزمان الحذر, خرجَ الطفلان من الماء, لكن بطريقة عجيبة!

قُفِزَا بِهما في الهواء كأنهما انطلقا من فوهة بركان, ولم يكنا بمفردهما, كانت تلك الكائنات المبتسمة دائما – الدرافيل- تقفز

معهما, تخرج من كل ناحية ثم تعود إلى الأعماق لتبدأ فقرة قفز جديدة, وبعضها جعل من الزورق حاجز يجب تخطيه, وحاولت ميس لمس جلودها الرقيقة وهي في سعادة لا يمكن وصفها, أما نيس فكان مستمتعا بما يحدث وتمنى ألا ينتهي, وتكتلت الدرافيل حول الزورق وهي تصدر أصوات متناغمة تُحب الآذان سماعها, ومشيا الطفلان فوق ظهورها, حاولاً التمسك حتى لا ينزلقان, و وصلا في النهاية إلى الزورق!

تطلعت في وجه نيس.ثم قالت

- قل لي كلام تُحب النساء سماعه
- لا أعرف!
- حاول فقط

تريث وهو ينظر إلى الطفلان اللذان يحاولان تشجيعه بطريقة جعلته يبتسم, وعلى طرف القارب هبط الفضولي ليشاركهم السعادة.

وقال نيس

- نساء الأرض
- ما شأنهنَ!
- لو اجتمعن .في مرتبة أدنى .فبأي وصف تُوصف سيدتهن!
- و من هي؟
- أنتِ
- أتذكر .قبل أيام كنت لا تقدر حتى على نطق كلمة!
- أنتِ جعلتيني واثق الخطى.أشكرك
- زدني ..لا تتوقف لحظة عن الكلام

• شجرة كَوّن غابة.. سؤال علل إجابة .أرقام زرقاء جميلة.. حرف حب عمر .. فيزياء روح قرابة .أنا أحببت الآن .. هذا مُختصر الحكاية .واعذريني.فالذي في مثل حالي لا يعرف القراءة.و تنظيم المعاني و كيف تكون الكتابة

بَسَطَ كفه .. ثم طابقَ كفه الثاني فوقه, فجعل كل إصبع في اليد اليمنى يقابله آخر, ثم أحنى الوسطى في كلتا اليدين, قلدته في كل خطوة, وطلب منها أن تفرق بين السبابتين مع إبقاء الوسطيين مخفوضين, فوجدت ذلك مستحيلا, فقال لها كذلك قلوبنا!

وقف الزورق عند ضفة النهر, ونزلوا جميعًا, واستعدوا كأنهم ينتظرون زائرًا, وبعد لحظات, ظهرت الدرافيل مجددًا, لكن هذه المرة تختلف, كانت مُسرعة ومتجهة نحو البر دافعة درفيلًا نافقًا أمامها, و تحمله فوق رأسها و ظهرها, وكانت ميس - التي تتابع الدرافيل مع نيس والطفلان -كسائر الناس في المدينة - ترتدي نعلًا من الجلد يصل إلى نصف ساقها, وفي هذه اللحظة, داست على كذا زهرة دون أن تعرف, فتعلقت واحدة بنعلها, ولاحظها نيس, و نزلا الطفلان إلى النهر ليستقبلا الدرفيل النافق, سحباه إلى الزورق, وكانوا يأخذون النافق من الدرافيل ليصنعوا من جلده قواربهم .

صعدت ميس, وطلب نيس من الطفلين ترك الزورق وانتظاره على البر, لم يصارحهما بسبب, لكنهما انصاعا لطلبه.

جدف إلى وسط النهر, وسألته لماذا أبعدت الطفلين, فابتسم, ولم تطمئن لابتسامته, ثم نزل إلى نعلها وأمسك الزهرة, فانقلبت صارخة و هرولت إلى نهاية الزورق, لكنه ضيق للغاية وليس هناك

مفر, وإلا فعليها القفز في النهر, و مجرد التفكير في هذا يُعتبر جنون, لأن التمساح لن يرحمها, هي تعرف ذلك وتؤمن به, ويبدوا أنَ نيس يروق له حالها, جلس عند الطرف المقابل لها ممسكًا الزهرة. حركها يمينًا ويسارًا, هددها بها .

وبعد وقت, أوقف تهديده, وقرب الزورق من البر, ولم تنتظر ميس أن يستقر , قفزت منه وهي تُهرول, وراحَ وراءها ولكن بغير الزهرة, أو أعزل كما يجب القول, واعتذر لها لكنها ردته خائبًا, فعذرها وتقبل غضبتها بقلب رحب و ابتسامة صادقة, وطلبت ألا يُكرر خطأه مرة أخرى, لكن نيس رفضَ عن عند, فحنقت, وذكرها بأنها جعلته إنسان لا يخشى أحد و عليه رد الجميل, فندمت على ذلك وقالت

- لا تؤاخذني بما فعلت .لعلي فقدت عقلي حينها .سأعيدك مثل ما كنت .. ستعود إلى قوقعتك مرة أخرى

وذكره كلامها بمرزوقه, فقال

- لن أعود قوقعًا!

تنهد ثم أردف

- ولكن إلى أين ستهربين.هذه المخلوقات التي تخشينها في كل مكان حولنا .من فضلك رحبِ بالضيف

قالها وهو يشير خلف ظهرها, والتفتت لتجد أزهارًا كثيرة تغطي الأرض تماما, فمارست هوايتها المفضلة في لحظة, أقصد الهرب! بحثوا عنها, وفي النهاية وجدوها تقف مع الظبي ويتحاوران, غضبا الطفلان وأمسكا حجارة من الأرض وقذفا بها الظبي, أصابا رأسه

فسالت منه الدماء, ولم يعجب ميس ما يحدث, فغطته بجسدها, وأسرع نيس ناحيته محاولا تقديم المساعدة, وحذرَ الطفلان نيس و ميس من تصديق كلامه, ثمَ تركا المكان ورجعا إلى الزورق عابسين. كان يحمل بين أسنانه حبلًا في نهايته صدفة سُلحفاة مُقعرة, وفيها عسل أبيض رائحته ذكية, قدم العسل لهما كهدية, فقبلاهَ و تناولاه وأعجبهما مذاقه, طلبا المزيد, فوعدهما ثم رحل.

وهما في طريقهما إلى الزورق, سبقها نيس خطوات, و بانَ عليها تريد الضحك, ما من سبب, لكنها أرادت أن تضحك فقط, وسَمِعَ نيس بدايات ضحكتها, فسرىَ داخله شعور غريب لم يعرفه من قبل, كان لا يُطيق الضحك, ولا يمكنه تحمل أن يرى أي شخص يبتسم أمامه حتى! لذلك التفت بسرعة وهو كاظم غيظه, وطلب منها بهدوء التوقف, كانت كالتي لا تسمع, ضحكت بكل قوة,فتحت فمها عن آخره, وكادت عروقها تخرج من عنقها من شدة الضحك, حاول نيس السيطرة على شعوره الغريب بوضع أصابعه في أذنه ونزل واضعًا رأسه بين فخذيه, دون فائدة, فزَعَقَ في وجهها كي تتوقف, فاعتبرته غير موجود, وزادت كركرتها الجنونية بشكل يصعب تصديقه!

قرر صفعها على وجهها, فعل ذلك فعلا, لكنها لم تتوقف أيضًا, فكرر صفعاته وزادها قوة في كل مرة , فاحمر خدها و انتفخَ, وسألته دون أن تتوقف عن الضحك

- لماذا نفعل هذا..لماذا تضربني ولما أضحك!

قال وهو لا يتوقف عن صفعها

• أنا أكره الضحك ..لا أعرف كيف .توقفي

• لن أتوقف ..لا تصفعني .سأموت يا نيس

و أودىَ وجهه بعيدًا ونوى الهربَ, ولكن, أوقفت هي ضحكاتها , وكانت تضع يدها على بطنها وتُصدر أنينًا, فحاولَ مساعدتها, ولاحظ انتفاخ بطنها بسرعة غير عادية, وفي لحظات قليلة أصبحت في حجم بطيختان..

اختفت وراء جزع شجرة, وانتظرها نيس, ثمَ سَمَعَ بكاء رضيع, جاء الصوت من وراء الشجرة, وخرجت ميس بعد وقت قليل حاملة رضيع بين يديها, كانت تُعامله كابن لها, وظن نيس أنه في حلم عجيب.

أرجعت الرضيع خلف الشجرة وعادت بدونه, ولم تمض دقيقة وخرج مرة أخرى وهو يكَبرَ قليلًا عن ذي قبل, كان يزحف على الأرض, ثم عادَ وخرجَ وهو في العاشرة من عمره, وكان يرتدي القميص المزهر المُفضل لنيس, غطاهُ من رأسه إلى قدمه, ولما رأت ميس قميصه فَزِعت لكنها لم تهرب .. وعادَ الطفل إلى وراء الشجرة ثم خرج وهو يكبر عن ذلك, وتكرر الحدث مرات, شاب ثم رجل ثم كهل, ولا يزال القميص يغطى جزء من جسده وينزلُ إلى تحت سرتهِ .. وعندما ذهب وهو كهل إلى وراء الشجرة, غابَ, فراحاً نحوه ليرياه, فوجداه ميتًا, نزلت ميس إليه وهي حزينة, وبكت وهي تناديه , ابني .ابني! وأسندَ نيس ظهره إلى ذات الشجرة وهو لا يفهم شيء, ثم غابَ عن الوعي .

***

صخرة مرتفعة وسط ساحة واسعة, وقفَ فوقها الظبي واثق بنفسه, وكانت الساحة محاطة بالجبال العالية من كل ناحية , ويصعبُ أن ينفذ داخلها إنسان أو حيوان إلا من عاشَ فيها وعرفَ طرقها .

أصدرَ الظبي أصواتًا أشبه بنداءات, خرج على أثرها من كهف قرد من فصيلة الرباح ضخم الجثة, يزن ضعفي وزن الظبي, ثم خرج غيره, ومن بعده قردة كثيرة, في كل مكان كهوف ومن كل كهف ألوف,مجموعات لا حصر لها, أحدثوا صخبًا, سلوكهم أهمج .. امتلأت الساحة بهم, وجعلوا الظبي قبلتهم, ينظرونه جميعًا .هدووء تام.الجميع يترقب .وفجأة .زَعق بحماس وشر في عينيه يذيب الفولاذ, وتابعته القردة بصراخ أشد, ضربت الأرض بأرجلها كأنها تحاول خرقها .وبإشارة من الظبي .. انتشرت في الأرض كالجراد وتسارعت صواعق لا مانع لها, ولا يقدر عليها أحد, كان إذا حمى حيوان نفسه بأعالي الأشجار صعدت وتمكنت منه في الحال, وإذا احتمى بباطن الأرض شقتها وأخرجته وأحالته شطائر ..

لهم وجهة يقصدونها, وهي عائلة للنمور لا يزيد عددها عن خمسة, حاطتهم القردة من كل زاوية, ثم انقضوا عليهم, و وقعت معركة دامية, تقطعت فيها الأوصال واحمرت الأعشاب من الدماء, ولأن الكثرة تكسب الشجاعة, لم يبق من النمور سوى أرجل ورؤوس متفرقة, و راقب رجل يتبع آضال المعركة متحمسا للقردة, كانت خطوط خضراء على جبينه تجعل شكله يختلف عن وائِيل وأهله الطيبين, وليسَ بين رجال آضال غير لص أو قاتل, و لا يصنعون أو يُتعبون أنفسهم في العمل, حتى بيوتهم وقلاعهم هي في الأصل

من عمل غيرهم, يخطفونهم ويجعلونهم يفعلون ذلك, و أيضاً كل سلاح وطعام ودخل الظبي بين قردته, مشى في تفاخر, ورحَب به آضال .

***

لم يعد لدى نيس و ميس أدنى شك في كلام وائِيل عن الظبي, خصيصًا بعدما ذاقَا على يده العذاب ولولا وائِيل أنقذهما, لظلا يعانان حتى اللحظة .وسألاه عن الظبي فقال لهما

• جاءنا من أرض بعيدة .لكن الناس تعرف حكايته

قال نيس

• وما حكايته ؟

• كانَ هناك ملكًا.. تعلقت ابنته بلص تزوجها سرًا .ولما فُضِحَ الأمر .قتل الملك ابنته أمام الناس عقابا لها .وكان يعلم السحر .فحول الشاب ظبيًا .ومن يومها.. إذا علم الظبي باثنين يربطهما الحب امتلأ حقدا عليها .ولا يهدئ قبل أن يفرقهما بأي طريقة .

• حكاية غريبة

• القردة طوع أمره .يقتلون ويسرقون ويخربون

• ولماذا هم طوع أمره

• عندما كان بشر.. صاحب قرد من الرباح.. أحبه وعطف عليه .وعندما قُلِبَ ظبيًا عرفه القرد وبقى معه .وقربه من القردة في قطيعه .وجعل أمره مطاع .فجاءت أجيال جديدة على طاعته دون عقل

***

مع مرور الأيام, تعلم نيس الصيد ونزل النهر للصيد, بينما ميس انضمت إلى النساء و الأطفال في جمع التفاح, وازداد الاثنان قربًا من بعضهما, وتجرأ نيس و أصبح لسانه بلا عقد ..

قال لها

- هل أنتِ شاعرة ؟!

- لا!

- إذن.كيف أقرأ في عينيكِ كلمات لا يقوله إلا شاعر أو شاعرة!

ولمس بأنامله شفتيها الحمراويتين كحبات الكرز, ثم أردف بما أعجبها

- أهذا فمُكِ؟

ميس بثقة

- نعم

- خِلته لسمكة صغيرة

- .حسبك .فحبيبتيك قالت وحكت

- بما أفشت فاضحتي ؟!

- بأني ملكتك وسأبكيك كطفل إذا آن بعدي

- هي صادقة

وأردفَ

- عيناكِ أيضًا أخبرتني

- هاا.. ماذا قالت .وربي لأمنعها عنك بأجفاني

- قالت أني أوقعتك في كميني .وأسقطكِ من قمتكِ

- صدقها

ودنت منه وهي تقول

• اركض معي

قالتها و ركضت ضاحكة كطفلة لا تبالي، شابهت فراشة بديعة اللون تطير فلا يشغلها أين تهبط، فالأرض كلها ترحب بها، وتخلى نيس عن رزانته ليشاركها الركض.

وكانت بشوش تُتقن حمل السلاح وفنون القتال، وتقوم بتدريب الآخرين، لكنها أكثر براعة في شيء آخر.. ترويض الخيل، فهي أفضل من يفعل ذلك، و لديها ساحة تؤدي فيها عملها، وفي مرة، دعت نيس و ميس إلى هناك، فشاهدا حصانًا هادئًا، وثاني شقي لا يتوقف صهيله لحظة .

حاولت ميس امتطاء الفرس المطيع، كانَ أبيض كالسحاب، ويشد جسده مثل فارس يؤدي التحية، ومن نظرة واحدة، تصدق أنه خُلِقَ لتتأمله العقول فقط، لكن متنه العالي منعها من الوصول إلى قمته، لذا ضم نيس يديه لتطلع عليها لكنها سقطت وتألمت، وضحك هو وبَشوش، ولما أراد تطييب خاطرها قال لها

"لو أنا هو 00لنزلت .ولا أرتفع عن الأرض إلا وأنتِ على متني"

وحينها جَثَمَ الفرس و خفض رأسه، فانسكبت الدهشة على وجوه الجميع، رفعت ميس نفسها لتمتطيه، لكنه لم ينهض حتى أوسعت لنيس فركبَ خلفها، ودار في الساحة مرات، وعرفت ميس أنه خيل عربي أصيل، فقالت لنيس .. "هذا النوع من الخيول يتقن الرقص ولكن بعد تدريب" وقبل أن تنتهي من كلامها، توقف الخيل كأنه فهم

كلامها, ثم رفع رأسه و خفضها, مؤديًا حركات استعراضية بكل أقدامه, وقوسَ زيله فطالَ به شعر ميس وهزه مداعبًا إياها, وكانت بشوش تتابع خيلها بعينين متسعتين, ثم عاد جاثيًا.

وأسقط الشامبانزي نفسه على متن الفرس الهائج, فحدَ من صخبه و جعله هادىء تماما, فلاحظ نيس قدرته الأشبه بالسحر على قلب الفرس إلى حمل وديع, وبَشوش تعرف ذلك عنه وتجعله يساعدها في عملها لقاء فاكهة تقدمها له.

لكن الفرس عاد يصهل بقوة, وأسقط الشامبانزي من فوقه, حتى الفرس المعروف بهدوئه انقلب هو الآخر وأحدث صهلة عظيمة, وجرىَ في الساحة فزِعًا كأن حيةً تلاحقه, تأكدت بشوش أنَ شيء غير منطقي يحدث, وذاد تأكدها عندما سمعت قرع الطبول الذي لا يُسمع في غير الحرب.

أُغلقت أبواب المدينة الثلاث, اختبأت النساء والأطفال في أماكن تحت الأرض أُعدت لهذا الغرض, وانتظم الرجال في صفوف مسلحين بالسيوف والحراب و النِبال, وكونوا مجموعات, تمركزت كل مجموعة في مكان, وهيأت النمور نفسها للقتال.

لحقت ميس بالنساء, و انتظم نيس مع المقاتلين, كانت هذه هي المرة الأولى التي يمسك فيها سيفًا, ولم تكن بشوش علمته ليكون مقاتلًا بعد, وتمنى لو آلة التصوير معه في هذه اللحظات, فهو يعتبرها مُفيدة أكثر من السيف.

وعلى الجانب الثاني, حاصرَ جيش آضال المدينة, وانضمت له قردة الرباح, وبدأت المعركة عندما خرقت سهام حاملي النِبال الذين

يقفون أعالي المدينة أجساد المعتدين. وحفرت قردة الرباح أسفل سور المدينة بسرعة ومهارة لتفلت نفسها إلى الداخل, لكن النِمار كانت يقظة, فما أن يدخل قرد تنقض عليهِ وتحيله أربابًا, لكن أعداد القردة تزايدت, فتسلل بعضها وفتح باب من أبواب المدينة, وانتقلت المعركة إلى الداخل.

انتشرت الفوضى في أنحاء المدينة, وأحرقَ جيش آضال كل ما وصل إليه, ويصعب تصور من يفوز في هذه المعركة الآن, وكان وائِيل لا يمل عن حث جنوده على القتال, لكنه أمر نيس وميس بترك المدينة, رفضا, لكنه أصر, فأطاعاهَ, وقدمَ لهما فرسًا, كانَ نفسه الفرسَ الهادئ الذي امتطياه في ساحة بَشوش!

الخسائر كثيرة في صفوف وائِيل وجنوده, لكن في النهاية انهزم آضال و فشلت خطته, وطُرِد من المدينة هو ولصوصه والقردة, وأمر وائِيل بالبحث عن نيس و ميس ..

وهناك أجهزَ الظبي على آضال باللوم واتهمه أنه وراء الهزيمة, حاول الآخير رد كرامته أمام جنوده, فهدد الظبي بالقتل إذا لم يصمت, و أن لحمه سيكون شهيًا إذا ما أكله, لكن الظبي لم يهدأ وغضب, واستطاع بفضل لبقته قذف الرعب في قلب آضال, ذكره بأتباعه من قردة الرباح التي لا ترحم, وجعله يتقهقر ويُهذب لسانه, و في وقت سابق, اتفقا سويًا , أن يصبحا طرفاً واحداً ضد وائِيل ونيس وميس .

الفصل السابع

وصلا الى كهف ممتد في عمق جبل,واسع الى درجة لا تُصدق, هما فيه صغيران كحجمهما في مجرة, وتنتشر بداخله الممرات التي يحتاج المرء لسنوات حتى يكتشفهم, حتى أنَ الفرسَ جرىَ في ممر وحده ولم يعود, وكان قرد-أثناء هرب ميس- قد جرح ساقها, فاقتطع نيس جزء من القماش الأبيض الذي يُغطي جسده وضمد بهِ جُرحها, ولما لَمح النوم في عينيها, خلعَ كل رداءه إلا قطعة صغيرة, و صنعَ لها مخدعًا من القماش, لكن الأرضَ كانت صخرية فجعلتها تتقلب وأرقتها.فلم يرض نيس أن يراها تُعانِ, فنام هو فوق القماش, وجعل بطنه إلى الأرض وظهره إلى السقف, وجعلها تتخذ من ظهره مخدعًا, ووافقت غير مصدقة !

ميس

- تنام على الصخر وتحتمل قسوته.. لماذا!
- هذه أشياء يُسئل عنها قلبي
- ما كل هذه البراءة في عينيك!
- بعض ما عندكِ

ثم قال

- هل تتذكرين .قابلتكِ على السلم .وخفتِ مني !
- نعم .ورأيتك وأنتَ تركب ال...

تريد أن تقول الترابزين! ابتسمت, وفهمها نيس, فابتسم لها, وقال

• ولماذا كنتِ هناك؟

• عرفتُ بامرأة قصتها عجيبة.فذهب لأعرف عنها كل شيء.. تعيش مع حفيدها فوق هذا المبنى الناطح للسحب والذي يدافع عن حق الفقراء .لكنها فقيرة ولا تجد من يدافع عنها ! هل تعرفها .وماذا كنت تفعل أنتَ هناك!

• دعكِ مني .وأخبريني عن نفسك

ميس مداعبة

• على كل حال ..لا تنس إخباري قبل موتي

ثم أردفت

• سبع ساعات يوميا كنتُ أقضيها في غرف المُحادثة عبر الشبكة العنكبوتية .وفي يوم..استمعت إلى قول أعجبني..أنظر إلى صورتك بعد عشر سنين فإذا وجدت الذي تفعله الآن سيجعل هذه الصورة جيدة.. لا تقطعه .أو توقف عنه.. ولا أخفي عنك .وجدت شركات المحادثة ستنصب لي تمثالا عرفانًا بمجهودي!

• وماذا كان قرارك

• وهبت جزء من وقتي للعمل التطوعي .لذلك كنت هناك.في منظمة البسطاء .أنا لا أقضِ كل وقتي في هذا .ولكن أفعله كلما كنت جاهزة

• وماذا تتمنين الآن

• أرقص على كفك!

• ليت ما سألتكِ! ولكن أعدكِ .سأحقق أمنيتكِ

وفي صباح اليوم التالي, غادرَ نيس الكهف بحثًا عن طعام وظلت ميس تنتظره, وبينما هي في هذا, دخل احد, رفعت رأسها نحوه وهي تحسبه نيس, لكنها كانت مخطأة, وعرفت أن الزائر هو الظبي فلدغها القلق ومدت يدها إلى حجارة قريبة قذفته بها وهي تهجوه وتتهمه بالشر والخداع, لم يحاول تفادي الحجارة, بل توقف واستقبلها دون أي رد فعل, ولما تعبت وخلصت الحجارة من حولها, تقدم ناحيتها وهي جالسة على الأرض وتسند ظهرها إلى صخرة كبيرة, وجثي أمامها في ذل وهو مُدمع العينين, كانت أسارير وجهه حزينة, وتحدث بنبرة تصرخ بالأسى وتجعل الفؤاد يلين ..

- لماذا تفعلين هذا يا ميس .نحن أصدقاء .أليس كذلك!
- أنت مخادع .وائِيل أخبرني بحقيقتك .ارحل أيها الحاقد
- ليس في قلبي غير الصدق والطيبة .وائِيل يكرهني .وهو الذي يكذب عليكِ
- ولماذا يكذب!
- أنا شقيقه.. وأوقع بيننا آضال.. صور له أني أخونه وأُرتب لقتله.. فعاقبني وجعلني ظبي.وأنا مظلوم .صدقيني يا ميس
- لكنه قال غير ذلك
- وهل تنتظرين منه قول الحقيقة
- ولماذا أصدقك أنت
- أنتِ محقة..لا شيء.. وأنا سأنصرف.. أعدك لن أزوركِ ثانية.. فأنا لا يشغلني سوى سعادتكِ.. أستأذنك بالرحيل يا ميس

وهمَ بالرحيل, لكنها نادته وقد أوقعَ في قلبها قناعة بصدقه, وعادا

أصدقاء, وعرضَ عليها معالجة جُرحها, حيث أخبرها بشجرة قريبة من الكهف,إذا أكلت من ثمارها التئم جُرحها على الفور, وصدقته.
جاهدت حتى وقفت, واستندت الى ظهر الظبي, فمشا بها حتى وصلا إلى الشجرة, وكانت غير مورقة و لها فروع كثيرة تطول الأرض, وليسَ بها أي ثمار, ولما سألت عن الثمار, قال لها اقتربي ترينها, فسمعت له واقتربت وحدها, وتحملتها رجلها المصابة بصعوبة, مشت خطوات ثقيلة حتى صارت بين الفروع, دققت النظر أكثر وتأكدت أنها عارية تمامًا ولا توجد بها أوراق أو ثمار, كأنها تستعد لتصبح حطبًا.
نظرت إلى الظبي كي تُحدثه فلم تجده, احتلها الخوف, وشعرت أنه خدعها مرة أخرى, و سمعت أصوات كحفيف الرياح تتزايد من حولها, وخطوات لا تعرف مصدرها على وجه التحديد, لكنها واثقة بأن شيء ما يقترب, أو ربما أشياء, فأفرغت يدها من الحيل و ثبتت تنتظر ما هو آت ..
رأت جماعة من قردة الرباح يطوقونها, ويُحدثون صخبًا جعلها تتصبب عرقًا, تجمع بعض منهم وراء ظهرها مشكلين دَرَجًا قاعدته عند قدميها و قمته عند فرع, و أُجبرت على التكأكأ, واستمرت في القهقرة حتى وضعت قدمها على أول الدرجَ الذي كونته القردة, طلعت على أجسادهم, وهنالك, أحضرَ قردًا نباتًا على هيئة حبل طويل و صعدَ إلى فرع فوقها, و لف حوله بداية الحبل ثم أعقد عقدة في نهايته وجعل العقدة متدليةً, فرأتها ميس مشنقةً مُحكمة, وقام آخر بربط يديها وراء ظهرها,وضمَ رجليها ثم كبلهما, بينما قطعَ

ثالث قطعة من رداءها و لفَ به عينيها, وعندما أصبحت قريبة جدًا من العقدة, تدلى قردًا من الفرع وأدخل رأسها في العقدة وضيقها على رقبتها الضعيفة.

عاد نيس إلى الكهف ولم يجد ميس, وكان الفضولي يقف على حافة الكهف, يقفز في الهواء ويطير يمنة ويسرة, فعرف أن وراءه شيء, وتبعه حتى وصل إلى ميس, أمسك عودًا من الخشب وهاجم القرود بشجاعة, لكنهم أكثر عددًا, خطفت عصاه وقَدَرَت عليه, ثم أخذته إلى جزع شجرة يُقابل الشجرة التي بها ميس, وربطته ربطةً لم يستطع الإفلات منها, وتنادى الاثنان في حَزَن ..

قالت ميس

- هل أنت هنا .هل أنت بخير
- نعم يا حبيبيتي ..
- هل تراني.هل هذا الحبل حول رقبتي حقاً! هل سأموت.. هل لن أراك أبدًا!

تلعثم ولم يقدر حتى على نطق كلمة واحدة, فقالت له

- أخبرني الآن .لماذا كنت هناك .ناطحة السحاب.. قبل أن أموت!

فارتجفَ وجهه واستسلمت ارادته, وقالَ

- إنه أنا .حفيد المرأة العجوز
- حسبت كلامها عن طفل
- أنتِ جعلتِ مني رجل

وبدأت القردة الجاثية تنسحب بنظام, واحد تلو الآخر, وتابعهم نيس بألم وحسرة, استمرت في الانسحاب, ولم تعد ميس تستطع

الرسوخ، اهتزت قدميها المُكبلتين، وتابع الفضولي ما يحدث ونفش ريشه مُعلن عن حزنهِ، وفي لحظة، تدلت ميس في الهواء كدمية لا حول لها ولا قوة، واكتفى نيس بالصمت والذهول، وأيقنَ أن القردة قتلت حبيبته، وظنَ أنها نهاية العالم ..

ودون مقدمات، ملأ جيش من الغربان السماء، فشابه سحابة سوداء، و هطلت على رؤوس القردة فأزعجتهم وهزمتهم في ثوان، وقطعت الحبل وحررت ميس وكذا نيس الذي هرولَ إلى حبيبته وحاولَ نجدتها، وما كانَ لهذا الجيش الأسود المجيء إلا تلبية للغراب صديق الشامبانزي، وصاحب بشوش وميس أيضًا تجمعت الغربان تنعق حزنًا على ميس التي لا زالت غائبة عن الوعي، و استمر نيس في تحريكها وتدليك قلبها وجسدها، كان ينتظر حدوث معجزة، ووقف الشامبانزي حزيناً وعلى رأسه الغراب، وهناك على الشجرة يقف الفضولي مهموم ..

***

كعادتهن، ذهبن لجمع التفاح، وكنَ يأخذنَ الأطفال معهنَ، لاستغلال رشاقتهم في الطلوع إلى أعالي شجر التفاح وقطف الثمار.

لكن .هجمتَ عصابة لصوص تتبع آضال مُدعمة بقردة الرباح-التي لا تتفاهم- على حين غرة، تسلقت القردة الشجرَ وألقت العيال من قمته، و وضح على وجوه لصوص آضال علامات الاستمتاع، وكانت الأمهات ترجوهم الرحمة، لكنهم قساة القلوب جدًا في هذه اللحظة، و إذا وجدوا طفلا حيًا بعد سقطته جعلوه أسير، أما النساء، فالتي في قدرها أقل من ثلاث تفحات يغرزون السيف في صدرها حتى

تموت, وإذا أكثر من ثلاثة يأخذونها أسيرة, ولو كان الأمر بيدهن لفضلن القتل, فهم يعرفون أنهم لا يرحمون و ويذلون كرامة كل من يقع في قبضتهم.

***

لحسن الحظ, استعادت ميس وعيها.و عاتبها نيس لأنها صدقت الظبي, لكنها أوضحت كيف امتلك هذ الحيوان عاطفتها وأقنعها أنه مظلوم, و قالت أنها لن تصدقه ثانية, فأوقف عتابه, وكان الشامبانزي والغراب, حاضران, وعَرِفَ نيس أن وائِيل يبحث عنه هو و ميس. و لأن الفرسَ غادرهما و المسافة بين الكهف و المدينة بعيدة, خلعَ فكرة العودة عن رأسه مؤقتًا.

أفصحَ الصديقانِ عن خفة ظلهما, و قلبا الوقت هرجَ ونكات, وعلى سبيل المثال: فتحَ الشامبانزي فاهَ الواسع وجعل الغراب يدخله ليبنيَ عشاً من القشِ و عيدانِ النبات, ثم أغلقَ العُملاق فكه ومنعَ صديقه من الخروج, و راحَ يمضغ, فظنت ميس أنَ الغراب أصبحَ مضغاً, لكن الطائر خرجَ سليمًا بعد لحظات, دون أي أثر لعشه!

و في مرة, نتفَ الشامبانزي بعض من ريش الغراب, وأمسك الريش في كلتا يديه, وأبسط كفيه بطريقة نجعل الريش منسجمًا مع باقي الزراع ليبدوا جناحًا, وجعلَ صديقه فوق رأسه, وأضبط وقفته ليُشكل من كل جسده منقار, ثم وقفَ في مكان وظل يُرفرف بزراعيه كأنه طير, وكان نيس وميس يُتابعان ظله المطبوع على الحائط, كان ظل عملاق لطير عملاق يُحاول التحليق.

و عاندا بعضهما, فقرر كل واحد ضرب الآخر, وأحدثا هرج و

مرح, نقرَ الغراب صديقه مرة في رأسه ومرة في مؤخرته, وبعد كل هجمة, يهرب إلى سقف الكهف, حتى لا يطوله الشامانزي, و تدخل نيس لعله يُصلح بينهما, وساعدته ميس لإتمام مهمته, فنالهما النقر والأذى .

***

جاءت عصابة آضال على بعض الشجر الموجود بناحية من نواحي المدينة وأوقدت فيه النار, فحملت الريح الدخان الى المدينة, كانَ كثيفًا, فسَود السماء ولوث الهواء, وأعيا الناس, وكاد البعضُ يموت خنقًا, وهكذا أُضرمت النار في كذا ناحية تأتِ منها الرياح, وحاولَ البعضُ ردَ العصابة واخماد النار, ونجحوا لكن بعد أنَ فقدَ الكثيرون أرواحهم.

***

لم يعرف نيس أين ذهب الشامينازي وصديقه صاحب الريش الأسود, استيقظ من نومه ولم يجد لهما أثر, فأيقظَ ميس لتُشاركه حيرته, ووقفت الأخيرة على كلتا رجليها على نحو طيب, وهذا دليل أن رجلها قد تعافت و أصبح بمقدورها المشي بطريقة طبيعية,ويرجع الفضل لنيس الذي سخر نفسه من أجلها, وقررا البحث عن صديقاهما.

وبينما هما يمشيان, لمحت ميس زهرة, فأودت عينيها بعيدًا بسرعة, وذهب نيس إلى الزهرة و فحر الأرض ثم تظاهر بدفنها, شكرته ميس على ذلك, لكنه في الحقيقة أخفاها في رداءه! ووقعت عين نيس على رجل اعتقد أنه جاء من المدينة, تُميزه عضلات زراعيه

الكبيرتين و صدره المنتفخَ, وتظهر عليه وسامةً,وكانت ميس في هذه اللحظة مشغولة بشيء آخر فلكزها نيس لترى الرجل معه, لكنَ الآخير كان قد ذهب من أمامهما.

و قابلتهما عين ماء عليها زرافتان, كل واحدة تفرد أرجلها الطويله بطريقة مُضحكة, وتنزل رأسها لتشرب منه, بينما الماء يفور ويتطاير في الهواء مُحدثًا شكلًا جماليًا رائعًا, وضم نيس كفيه وملأهما لتشرب ميس, وكانت هي أيضًا ملأت كفيها ليشرب هو, ورفضت أن تشرف شرفة قبله, فهاودها وشربَ .

اعتذر لها لأنه عاتبها بشدة عندما صدقت الظبي, وكانَ غاضبًا حينها

- اعذريني .تمكن مني الغضب
- قل لي شيء أفعله عندما تغضب .ويجعلك تهدأ
- قبليني .مُري شذاكِ على جبيني ..خُذي من شفتي رحيقي
- اغضب .غضبك جميل
- أتجاميليني!
- لا وربي
- وأنت غضبك جميل
- أنا لا أثور بسرعة
- هل تتحديني؟

ميس بثقة

- نعم أتحداك

أخرجَ الزهرة التي خبأها في رداءه, فجرت دون كلام, وجرى هو

خلفها, أراد اللحاق بها, وكانت إذا التفتت ورأت الزهرة أسرعت جريتها وناشدته أن يرحمها, لكنه سدَ آذانه وظل يُطاردها.

في النهاية لَحق بها, وضمها بين زراعيه, وبعد أن هدأت قال

- حسبتك ستكونين أجرأ من هذا
- أنا أجرأ منك
- أتتحديني !
- ولكن بدونها

تقصد الزهرة , و أردفت

- سأعود إلى الكهف بمفردي .دون مساعدة منك

وطلبت منه ألا يترك مكانه قبل غروب الشمس. فأطاعها, وانطلقت هي إلى الكهف وحدها, وبعد وقت لحقها, , ورأى الرجل المفتول العضلات الذي رآه من قبل, كأنه يخرج من مكان ميس! لكن نيس لم يستطع الإمساك به, ودخل الكهف فوجد ميس تنتظره بشغف, و سألها عن الرجل

- عن أي رجل تتحدث!

فحكي له الذي رآه, لكنها استغربت

- يا نيس .قف عن ذلك.وناديني بالجريئة
- معذرة سيدتي الجريئة

وفي صباح يوم جديد, أيقظه صوت غريب, حسبه لفأر ينبشُ في شيء, لكنه رأى الرجل مرة أخرى يقف على أعتاب الكهف ويسترق النظر, فجرىَ نيس نحوه, وطارده إلى مسافة بعيدة.

و كل ما شاهدته ميس هو نيس الذي يجري, ولما أرادت اللحاق بهِ,

فاجأها زائر كرهت أن تراه. إنه الظبي!
هددها بقرنيه و جعلها تتخندق في ركن ضيق داخل الكهف, ولم يعد لديها خطط للهرب, و كانت تلوم نفسها أنها آمنته في يوم واعتبرته صديق, وتمنت لو يعتقها أو يأتي نيس فينقذها, لكن الظبي فاجأها بما لم تتوقعه, كانت الدموع تنزل من عينيه كالمطر, ولم تعرف سبب بكاءه.
قال

- لم أستطع إنقاذك من القردة المتوحشة.سامحيني يا صديقتي
- أنا لست صديقتك أيها الكذاب

الظبي وكأن ميس طعنته في كرامته

- لا تقولي كذاب أرجوكِ.لقد هربت حقًا لأن القردة كانت ستفتك بي .أنا جبان .جبان
- أتريد مني تصديقك .أنت كاذب وشرير .اغرب عن وجهي
- أرجوكِ يا ميس لا تظلميني

ضرب رأسه بالأرض, ورفعَ رجليه الأماميتين في الهواء وهو يقول

- لم أخدعك.أنا صديقك .وأحبكِ

حاولَ جعلها تصدقه, جاهد من أجل ذلك وفعل كل شيء, و ترددت ميس, وتذكرت كلام وائِيل و وعدها لنيس و الأذى الذي أصابها, لكنها قالت في نفسها

- أشعر أنه صادق ولا أملك دليل إدانته

و عَرِفَ الظبي بفطنته أنَ ميس بدأت تقتنع بحجته, و في الحقيقة, هو جاءَ لغرض واحد فقط, وهو جعلها تبكي! وتمسكن ليتمكن من

تملك مشاعرها الرقيقة,وما هو سوى وقت قليل حتى تأثرت ببكائه ودمعت عينيها, و وثقت بهِ مجددًا, ورحلَ وهي ما زالت مُدمعة ..

رجعَ نيس إلى الكهف بعدما هرب منه الرجل, لكنه كانَ عند الكهف وبدا خارجًا منه, رآه نيس فعَزمَ ألا يضيعه هذه المرة, وطارده حتى تمكن منه,وبالرغم من أنه أطول وأقوى, إلا أنه بدا ضعيفًا بين يدي نيس, وكانت عينيه تلمعان بالدموع !

- من أنت .ولماذا تتبعنا

فقال الرجل مترجيا

- أرجوك لا تُفرقنا .أنا أُحبها وهي تحبني
- لا أفهمك .ماذا تقصد

• هي لا تحبك .وليس تقربها منك حبًا .هي تفعل هذا لعلك تعرف سر وجودكما هنا .تعتقد أنك تخفي عنها شيء.أرجوك لم أعد أحتمل هذه اللعبة ..لا تفرقنا

ونكَزَه نكزة أسقطته ثم هربَ في لحظة, قام نيس بعدها وتوجه إلى ميس, وأولُ ما لفتَ نظره تلك الدموع التي تملأ عينيها, فسألها عنها, لكنها لم تُفصح له, فهي لا تريده أن يعرف بما دار بينها وبين الظبي حتى لا يلومها ..

- لن أكذب عليك .هناك سبب .لكن لن أخبرك الآن

في تلك اللحظة, تسلسلت الأحداث في عقل نيس منذ ظهور الرجل أول مرة إلى قول ميس, واحتواه الشك وظنَ في حبيبته السوء, وكلما أراد قتل نواياه لا يقدر, وقل كلامه ولم يعد يضحك, و لاحظت ميس تغيره لكنها جهلت السبب.

سحبَ حجارة كبيرة وصغيرة وجاء بكذا جزع وفرع من الشجر, أحضرَ كل هذا إلى مكان داخل الكهف محصورًا وليسَ له غير ناحية واحدة يُدخل ويُخرج منها, احتاج ليُنجز مهمته أيام طويلة ومجهود شاق, لم يكن يدرِ أنَ الرجل صاحب العضلات يساعده! حملَ له الحجارة الثقيلة وقربها منه بطريقة ما, وقطع له الشجرَ و جعله في متناول يده, وطوال هذه المدة لم يتحدث نيس مع ميس كلمة واحدة, فأصبحت شمعةً تسيل بؤس , لكن حزنها لم يشفع لها عند من تُحبه, فكانَ جامدًا حين تكلمه, كأن جليد أوربا ثبت لسانه, ولما أوشكَ عمله على الانتهاء, أحضرَ طعامًا يكفي أيام وقدمه لها, ولم تفهم هي ما ينويه, و تركها وذهبَ إلى المكان ثم أغلق مدخله بكل الأشياء التي جمعها, وجعل نفسه في جانب و هي في جانب, فلم تحتمل وأصبحت كالمجنونة, استصرخته فصم آذانه, وحاولت إبعاد الحجارة لتصل إليه ولم تقدر .

ومرَ يوم وهما في ذلك, ثم يومين, وفي اليوم الثالث كانَ قلبه لا يزال يخفق, لكن أصابه الوهن وذبلت شفتيه و لامست بطنه ظهره من شدة الجوع, فشابهَ المومياء, ولولا هذه الفتحات الصغيرة جدًا لماتَ مخنوقًا منذ فترة, لكنه تعمد ألا يموت سريعًا.

وأخذ يتذكر كل أيامه, وصديقه راشد و المديرة مرزوقة, وتلك الفتاة الجميلة التي قابلها فأحبها ثم اكتشف أنها تخدعه, هو يعتقد ذلك, و دولت الطيبة التي تحبه أكثر من أي شيء, ومائدتها التي تنزل إليها الطيور لتأكل, وكل كلامهما, و الحديث الذي دار بينهما حول الطائر الذي لا يأكل إلا بعد الطائر الآخر , وهنا..في تلك اللحظة

; سرى في جسده شعور غريب, وكأنه تذكر شيء مهم, حاولَ استعادة قواه, تحملته رجليه رغم عنها, و نبش في السد الذي بناه منذ أيام, ليخلع عنه أجزاء, وأصبح بإمكانه الخروج.
ورأى ميس قريبة منه وملقية على الأرض, ووجدَ الطعام الذي أحضره لم يمسه سوى التلف والعفن, فأدرك أنها لم تأكل منه, فضمها إلى صدره, و كانت غير قادرة على الحركة و تتنفس بصعوبة, فتركها وهرولَ هرولةَ الكسيح, اتجه إلى شجر قريب من الكهف ينبت فيه الموز والتفاح وفاكهة أخرى, كانَ يعرف مكانه وطالما ملأَ بطنه منه, لكنه تفاجأ به خالي من الثمار. كانَ الرجل صاحب العضلات هو الفاعل!
ووقعت عينيه على أزهار بيضاء اللون,فقطفَ واحدة ثم أكلها, وجمعَ الكثير ومشى إلى الكهف, وقبل أن يصل , نمى إلى أذنه همسًا فتتبع مصدره, وصدمته المفاجأة عندما رأى الظبي يقف مع الرجل, لكنهما اكتشفا وجوده وهربا في الحال! فعرفَ أن الظبي خدعه, وهو من أتى بالرجل ليؤدي هذا الدور, فعاد إلى الكهف ندمان. وفركَ الأزهار حتى لا تعرفها ميس فترفض أكلها, و قربَ الأكلَ إلى فمها, لكنها رفضته حتى يأكل أولًا, فأكلَ وأكلت بعده, وقال و هو يتذكر دولت و الطائران..

- صدقت دولت
- لماذا فعلتَ هذا .لما منعت نفسك عني وحرمتني منك.لماذا أردت لي الموت
- اذهبي .اتركيني .أنا إنسان سيئ .حطمت قلبك

- وماذا أقول للقدر .. لا يريد لنا الفراق
- سامحيني
- لم أُخلَق لتقدم لي أعذار .هذه مكانة لا أستحقها
- عاقبيني .قولي لا يستحق .اضربي رأسي بيدك.ولن أغضب
- لن تغضب! إذن لن أفعل.فأنا كما تعرف .أُحب غضبك
- الظبي جاءني وصدقته .وأبكاني .وخفت أن تلومني
- أوقعَ بيننا .صورَ لي أني لستُ في قلبك
- إنه ذنبي .أنا صدقته .يا لقلبي المسكين
- افخري بقلبك .لكن أوصليه بعقلك

الفصل الثامن

جاءت عصابة تتبع آضال و حفرت حفرة على أعتاب المدينة، وأخفتها بأوراق الشجر ثم بقت تنتظر بعيدًا. و اختبأت قردة الرباح أعالي الأشجار وهي تراقب ما يحدث في تأهب، بعد ذلك أقبلت نَمِرةً مع شبلها ووقعت في الحفرة. وكانت أعواد مسننة من الخشب في انتظارها، فنزلت عليها وانشقت بطنها وماتت في الحال، ونزلَ الشبل إليها على مهل، فجأة، أسقطت القردة نفسها فوقه وقطعته،وعَرِفت بَشوش بما جرى، فأعدت فرقةً وطاردتهم.

وفي مكان آخر، قريب من الكهف الذي يجمع نيس وميس، كانَ الظبيُ يجري، أو بلفظ أدق، يهرب، و كانت قردة الرباح تُطارده، حاولَ الهرب بشتى الطرق، و بالرغم من رشاقته و قفزاته العالية، إلا أنَ القردة باتت قريبة منه جدًا، وارتطمت رأسه بجزع شجرة ليفقد توازنه ويسقط على الأرض، انهالت عليه ضربًا، وحملَ ذكرًا قويًا حجرًا ثقيلًا وحطمَ به جزء من قرنه، ثم تركته القرده وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، رأت ميس كل ما حدث فجرت نحو نيس وأخبرته. كان مُستلقيًا على جنبه، يشهق بصعوبة كالذي ابتلع حلقه، وغطت الدماء جسده، اقترب نيس منه بحذر وأبقى ميس بعيدة، ولم يشك لوهلة أنَ الظبي يُحضر لحيلة جديدة، امتلأ غلًا من ناحيته، أمسكَ عصا وضربه فمد الهامد على الأرض شفتيه إلى الأمام وزعقَ، أرادت ميس معرفة الذي يحدث فاقتربت، وحاول الظبي التفوه بكلام، لكن

نيس صدمه, ليس هذا فقط, بل أغلق فمه عنوة بيده وأبقاه مُغلقًا, فبانَ على الظبي أنه سيموت مخنوقًا, فنزع نيس يده بعد أن طلبت ميس ذلك وقالت فلنتركه للنمور أفضل تأكله, عادَ الظبي يريد الكلام بإصرار, و قالَ القردة الشريرة آذته بأمر من وائيل, فأغضب كلامه نيس الذي ركله بقدمه بقوة ..

• الشامبانزي و الغراب مسحوران .سحرهما وائِيل .الاثنان كانا بشرًا مثلكما .ألا تسالآن نفسكما عن سر ذكائهما! سأموت ورأسي في السماء ..لأن هذه المخلوقات الشريرة هي من قتلتني.. و صديقتكما الطيبة أيضا!

فضحكت ميس ضحكة ساخرة قبل أن تقول

• صديقتنا!

• أقصد بشوش.كانت قردة ذكية .وأحبها وائِيل فحولها بشرًا .اسألا أنفسكما .لماذا هي المرأة الوحيدة التي تنزل الحرب وتمهر في أشياء كثيرة.. وقريبة من وائِيل .ولا تتحدث كثيرًا!

استقبل نيس الكلام بلا مبالاة, وقربَ ميس منه ثم وقفا معًا بين أقدام الظبي الهامد تحتهما, قربها أكثر وسألها عن أكثر شيء يجعلها غاضبة غير الزهور, قالت تبعثر شعري, هي تحبه دائمًا مُهذبًا, فبعثرَ شعرها كأنه يريدها أن تغضب, لكنها ضحكت, حاولت الوصول إلى شعره لتبعثره, كانَ أطولَ منها قليلاً فلم تقدر, وكررا الضحك,و فردَ نيس زراعيه لترتمي ميس بينهما, وحينها صاحَ الظبي

• لا تفعلان أرجوكما

وقال نيس

- أيها الحاقد
- بل لأني أُحبكما
- خدعة جديدة
- أنا أموت الآن .. ماذا أستفيد من خداعكما.. وهل أنا مجنون لأحطم قرني من أجل خدعة

ثم استطرد

- أرسلَ وائِيل أحد أتباعه إليكما.تسلل إلى الكهف ليلًا .كنتما نائمان فلم تشعران به وسحركما
- أتقصد الرجل صاحب العضلات! هراء .نحن مسحورين؟! هل أنا قرد الآن!
- هو سحر من نوع أخر.. ستُفتَن بها.. فتُهيج غريزتك.. ستتمكن منك شهوتك.. ستفض كرامتها.. ستقع في الخطأ.وحينها.. يبدأ مفعول السحر.ستكون ظبيًا مثلي.نعم سنكون أصدقاء .أما ميس فلن تعيش طويلاً .وهذا ما حدث معي .كنتُ أُحب الفتاة التي أحبها وائِيل وهي لا تحبه .ففعل بنا هذا انتقامًا
- أيها الكاذب .لقد رأيتك مع هذا الرجل .وهربتما عندما رأيتماني
- لا تظلمني يا صديقي ..إنما قابلته صدفة يتجسس عليكما.. هددته بقرني فحكي لي وهو مُجبر .. أنا لم أهرب منك .بل حسبتك قرداً شريراً تهاجمني فهربت

وقالت ميس

- أقنعني أيها الكاذب.لماذا يؤذينا وائِيل.. فكما تدعي.هو شاء لك

الشر لأنه أحب فتاتك ماذا فعلنا نحن له حتى يدبر لنا هذا!

فقال لها الظبي

- انه يُحبكِ !

وقال نيس

- وهل من يحب إنسان يقتله!
- نعم ..إذا تأكد أنه لا يحبه .. يقتله حتى لا يراه مع غيره .انه الحقد يا نيس
- تراني أدمعت .لن أصدقك أبداً أيها الخادع

وقالت ميس

- أنت حاقد شرير لن نسمح لك بخداعنا

وتركاَه وحده, لم يصدقاه, على الأقل هذا ما أظهراه لبعضهما .. وفي ليلة هادئة, تحت القمر والنجوم, أذكى نيس نارًا, أرسلت خيوطًا من النور أضاءت المكان, واحتضن النور المنبعث من الأرض ما تُرسله مصابيح السماء, وبعد الكلام المصبوغ بالعاطفة, ألقت ميس جسدها نحوه في ترنح, كان إذا نظرَ لها أو لمسها, تذكر كلام الظبي وحاول أن يكون حذِرًا, وإذا أرادت منه ضمة ردها بأدب, وهي تعذره دون جدال.وقالَ نيس

- والله ما استقوت علي نفسي لحظة.. أنا حاكمها
- أعرف .وواثقة .أنت حافظي

ثم وأردفت

- أصدقت كلامه!
- حديثه سكنَ عقلي .. فترك خيال لا يعرف غير التحريض و

الحث

- وخُلِقَ الإنسان ضعيفا
- هو كذلك
- فلنأخذ بالأسباب إذن

وجاءت رياح خفيفة أودت جزء من رداء ميس إلى بعيد, بانَ جزء من فخزها, فأبعد نيس عينيه, وقال

- لن أتركك ولن تتركيني

وأرجعَ رداءها حيثما كان

ومع شروق الشمس, ذهبا إلى الظبي, وجداه ما زال على حاله, وحدثاه بطريقة ساخرة, يبدوان بها غير مهتمين, و سألاه إذا كلامه صحيح فما الحل, و أمرهما أن يُفارقا بعضهما إلى الأبد, لكنهما ضحكا, أمرهما ألا ينظران إلى بضعهما في كل الأحوال, فضحِكا أكثر, وفي النهاية دلهما على فكرة.

ذهبا إلى النهر فوجدا نبات يعوم على الماء, وأحضرا منه الكثير, كانَ أخضر اللون وأوراقه دائرية وكبيرة, ثمَ غطت ميس جسدها به, زراعيها وظهرها, رأسها, كتفيها وقدميها وأطراف كفيها وأطراف قدميها, ووجهها إلا عينيها, وسقطت ورقة من رأسها على عينيها, فغطتها, ولم يبق في جسدها مكان يسمح لنملة بالمشي فيه,ونادت نيس ونبرتها حزينة, فشعرَ بجمال صوتها كأنه يسمعه للمرة الأولى, خافَ أن يهيجَ ويفقد رزانته فيؤذيها, فقرر سدَ آذانه حتى لا يصل صوتها إليه,واستمرت تناديه وهي أمامه ويراها.. ثم أغمض عينيه ..

انتفضت داخله طاقة لا يعرف هو حدودها, فتحَ عينيه وأخرج أصابعه من أذنيه وأسرعَ نحوها, نَزَعَ النبات عن عينيها فوجدها تهطل دموعًا, استمر في نزع النبات حتى حرر كل جسدها .وقال

- فعلتُ كل شيء وبقىَ هو
- من؟
- الخيال

واستطرد وهو يُركز حواسه على وجهها

• قلبنا النعمة نقمة .و حملتك أوزار حماقتي.. انه خيالي وليس خيالكِ.وهل غطى يُوسف وجهه لَمَا استعبدهن الخيال! إنما خُلقتِ ليُذكر اسم الله على وجهكِ .سبحانه

وذهبا إلى الظبي مرةً أُخرى لعله يأتيهما بحل آخر, لكن منظره أفجعهما وأصابهما بالذهول, كانَ ميتًا ومنهوشًا ورأسه مُختفية, ففطنا إلى أن القردة أو غيرها من الحيوانات اعتبرته وليمة سهلة المنال ..

اصفر وجهها وصارَ كورقة شجر ذابلة, و بين الحين و الحين, تشعر بعواصف رعدية تصدم رأسها, و تهزو باستمرار ولم تعد قادرة على الكلام بطريقة مفهومة.. تقيأت وارتفعت حرارة جسدها بشكل لا يمكن السكوت عنه, وتصبب جسدها عرقًا, وكان نيس يطمئنها ويُحاول جعلها متفائلة .

لم يعد بيده حيلة, وجلسَ في أول الكهف ينتظر رأفة السماء بحبيبته, و بينما هو في هذا, نزلَ الفضولي إليه ودخل إلى الكهف فتتبعه بعينيه, أخذ ينقر في بقايا النبات الذي غطت ميس به جسدها,

وتركه نيس بحرية, بعد دقائق, نَفَشَ ريشه وغيرَ شكله, و تقيأ دون توقف, ثم أرخى جسده على الأرض و احتضر حتى مات! استيقظ عقل نيس وفهم, قال لنفسه بحزن وعتاب

- أيها الظبي الشرير .ليتَ قلبك احتوى كل البغض وما احتوى ذرة حقد

ثم دنى من ميس الهامدة وقال

- ميس .انه الظبي .أنا جعلتك تصدقيه هذه المرة .قومي ولن نصدقه ثانية.قومي وضميني .. أنا أكون قاتلكِ! روحيَ عندك لما أرجوها الرجوع تقول لا أعود دون ميس .قومي قلدي الأصوات وهرجي كما كنتِ تفعلين .هل أحضر لكِ زهرة ؟!

وحملَ جثة الفضولي ودفنها في الأرض, ثم عاد إلى الكهف وبالتحديد إلى النبتة التي أكل منها الفضولي, وأكلها!

على الجانب الآخر, كانَ الظبي حانقًا, ولم تره القردة في مثل هذا الحنق من قبل, وسبب غضبه هو هذه القردة الغبية, هكذا يناديها الآن, فقرد منهم تسبب في تحطيم قرنه, وكانت خطته أن يجعل نيس يقتنع بحيلته, وأتمَ حيلته بظبي اصطادته القردة و وضعته في المكان المناسب ليظن نيس وميس أنه الظبي الذي يعرفانه!

وعُقِبَ القرد الذي حطم القرن عقابًا شديدًا, تجمعت القردة عليه وأكلته حيًا!

الفصل التاسع

كانت الناس في المدينة تحترم امرأة أكثر من غيرها, ليسَ لأنها جاوزت السبعين وتحتاج لمن يرعاها, لكن لكونها طبيبة المدينة, أو بمعنى أدق كبيرة الأطباء, و تملك خبرات كثيرة تجعلها في هذه المكانة العالية,و بدونها ما قُدرِ لنيس النجاة, و سأل عن ميس أول شيء, و عرف أنها راقدة في غرفة مجاورة, فتغلب على ما بقي من سقمه وراحَ إليها, وكان الشامبانزي و الغراب يقعدان جوارها,حزينان بالطبع, وفي وقت سابق غادرا الكهف وعادا إلى المدينة ليخبرا وائِيل بمكان نيس و ميس, فخرجت ,بشوش إليهما, وكان قلب ميس يخفق بصعوبة, ونيس في إعياء شديد.

كانت ميس غائبة عن الوعي, و قالت الطبيبة أنها ستظل على حالها أيام, وربما أكثر من ذلك, وفي هذه الأوقات, أصبح نيس أنشودة وكلام لا تمل الناس عن التلفظ به, وضربت الزوجات به أمثلة في الوفاء لعل أزواجهن يقلدونه, ونُدِيَ بالعاشق الحزين, وحين تُرزق امرأة مولود ذكر تسميه نيس, وميس إذا هي أنثى, و كثير ما يُرى في أنحاء المدينة في الليل والنهار, إما ماشيًا ذليل الرأس أو مُكوم في ركن, وكانت الأطفال تهديه الطعام والماء, أما النمور فكانت تشاركه همه وكأنها تشعر به .

"ميس فاقت"

جرى الناس في أنحاء المدينة يهتفون بهذه العبارة, واستقبلها نيس

على أنها هدية السماء, وهرولَ إلى مرقدها ومعه سكان المدينة, نظرا إلى بعضهما كالعائدان من سفر, دنى منها و وضعها بين زراعيه وهي تنظره صامتة, ومرر فاهَ على هامتها إلى خديها, وهم بقبلة فاهية, فهاله أن رأى الناس حوله تتعامز, فحده الحياء ولم يغول.

***

طلب نيس من بَشوش, تعليمه كيف يمسك السيف ويُبارز به, فخصصت أوقات له, وكانت ميس لا تفارقه,لكنها كرهت فكرة السيف والقتال, وفضلت الاحتفاظ بأنوثتها كاملة .

وفي مرة, جاءها طفل كسب ودها بخفة ظله, وأراد منها زيارة بيته, فأطاعته, و رجاها أن تُغمض عينيها بحجة أنه يجهز مفاجأة ووافقته, فسحبها من يدها و مشى خطوات, انكشفت أمامه مساحة واسعة من الأرض ينبتُ فيها نبات البنفسج, و هو نبات شجري له عود في طول متر تقريبًا وعلى رأسه زهرًا بنفسجي اللون تصدر منه رائحة ذكية..

مشى بها حتى أصبحت وسط الحقل,ووصلت رائحة الزهور إلى أنفها فاستمتعت به دون أن تعرف ما هو, ثم تركها الطفل وحيدة و وقفَ بعيدا ينتظر اللحظة التي ستفتح فيها عينيها, كان يعرف رد فعلها, فأراد رؤيتها وهي تهرب! ..

وكان نيس قريبا, فرأى الطفل وهو ينفذ حيلته, واستغرب لأن لا أحد يعرف بسر ميس غيره هو, وهو متأكد أنه لم يتفوه به لأحد, وقال الطفل لنيس أن المرأة العجوز التي يعمل عندها هي من أخبرته, وكانت هي نفسها الطبيبة!

أمسك يدها مسكة حانية, فاستشعرته وعرفته, وكادت تفتح عينيها لكنه منعها, فظنت أنه من أرسل الطفل, ووجدها فرصة ليُعرب من جديد عن حبه..

• اقبليني يا سيدتي خادم في قصرك المرصع بالكرم .وسأخدمك في صمت ولن أقلق راحتك .ستنامين في صدري وأحميكِ بعظمي وأغطكِ بجلدي

• منْ سيد منْ! أنت ملكتني .حتى الخيال حين يطرق عقلي .أفوته عليك .أنت سيدي وآمري .بصفاتك النبيلة ورجولتك .وبالرقة لا بالرق استعبدتني

استمرا في الكلام وهي مغمضة العينين, و نبات البنفسج يصل إلى ركبتها, فإذا أرادت تحسسه بيدها, شغلها نيس عن ذلك .وكان يقول

• جذبتِني نحوك بلا رحمة .أنا يا ميس تفاحة إسحاق

• سأسألك سؤال.. حين ينطِقُ اسمي يُغنى .. هو منْ؟ و الأحرفُ ترقصُ و وتُجَنْ .و يتغزل في فيُظَنْ .في شفتيهِ آلة عزف تُصدر فنْ

• بدون غرور .هو أنا

• حبيبيَ المغرور خالَ روحه يوسف .ألوجهك المسحور تخرق الأرض و تُجِف؟

• قلتُ بدون غرور .فالتواضع أمامك فرض

ثم قال

• حلقي.. كل الفضاء بين زراعيَ .. واشعري أنكِ لؤلؤة ثمينة .هذا حقك

• أنتَ المستبد .أخضعت قلبي وفعلت ما أردت .ونصيبك من أيامي وأحلامي .نصيب الأسد

• قولي كما تشائين .جبار كنتُ أو مسكين.أقسم أن أُشبعك حب

• أشكر الذي أبدعك

• أين تعلمنا هذا الكلام!

• لعله جزء من ذاك العالم المسحور الذي نحن فيه

فتحت عينيها, وفرحَ الطفل!

***

كانت بشوش تستطلع أنحاء المدينة, ورأت أطفالا يلهون خارج الأسوار, ثم رصدت عصابة آضال تريد أن تصل إليهم, فأدركت أنهم في خطر, امتطت حصانها و سارعت الريح لتصلهم قبل فوات الأوان, ورأتها ميس خارجة من باب المدينة دون أن تلتفت إلى أحد, فذهبت تنقل قلقها لنيس الذي كان مشغولا في مرانه مع أحد الجنود .

بلغت العصابة الأطفال, وأوثقت أرجلهم بالحبال ثم ساقتهم من وراء الخيل, لكن بشوش فاجأتهم وأوقفت خطتهم, نزل سيفها على الحبل فقطعه, وكان عددهم كثير, عشرة على أقل تقدير, وبينهم من يحمل السيف وآخر رمح, لكن بشوش كانت جريئة لدرجة لا تجعلها تفكر في ذلك.

و نزلَ إليها واحد فالتحمت معه وقتلته, ثم نزل الثاني فقتلته, وحين أظهرت مهارة و شجاعة, تكوموا عليها ليكونوا أقوى وأشد, وأمطروها بالطعنات في كل جسدها, و قتلت أكثر من نصفهم,

لكن الطعنات أضعفتها, وخارت قوتها, وسقط سيفها معلن عن هزيمتها.

اقتحمت فرقة من جنود المدينة المكان, ومعهم نيس و ميس على ظهر جواد واحد يقوده نيس,والتحموا مع عصابة آضال, وتغلبوا عليهم في النهاية, لكنهم جاءوا متأخرين, كانت بشوش قد فارقت الحياة, وكانت ميس أكثر الناس حسرة على فرقاها.

وامتلأت المدينة حزنًا على فراق بَشوش وزُفَ جسدها و من خلفه الناس تبكي لها وتشاط غيظًا من قاتلها .

واجتمع وائِيل بكبار القادة والجند, وطلب نيس أن يكون موجود و سُمِحَ له,

وقال وائِيل

- لا بد من رد

قال أحد القادة

- لا يمكننا الرد الآن .هم بلا شك ينتظروننا ويتأهبون لهجمتنا

وقال آخر

- هجمة واحدة تُخلصنا من شرهم

قال وائِيل

- وهل أعدتم حسابًا لأسوارهم العالية وأبواب قلاعهم الحصينة والظبي وقردته الهوجاء

ودخلَ المكان رجل يقول

- سيدي وائِيل .خطفت عصابة آضال واحدة من النساء

وقال وائِيل

• وكيف وصلوا اليها

• هي خرجت إليهم .أرادت الانتقام لبشوش
نيس مقاطعًا

• أعرفها ..إنها ميس

وتنهد بأسى ثم قال

• سيدي وائِيل .لدي خطة

ثم أردف

• إشاعة ..خيل أسود ..رسامون .وهذا الرجل الذي يحكي الحكايات

الفصل العاشر

قبل شروق الشمس بدقائق, دخلَ نمر الى ساحة القردة,كان كهل و أعرج,و بدا مريضًا ومتهالكًا, ربما لا يقدر على تمييز الأشياء من حوله, فأي نمر هذا يجرؤ على القدوم إلى هذا المكان !, وخرجت إليه القردة وحامت حوله, تكومت عليه و أصبحت على وشك الفتك به.

و كانت أعداد كبيرة من النمور تُحيط بالمكان ولم تعرف القردة هذا, تمركزت أعالي الجبال, متأهبة ومتحمسة, تنتظر إشارة من نيس لتنقض على القردة, وعندما جاءت هذه الإشارة, أسقطت نفسها ككرات بركانية تحرق كل ما يقابلها ..

انقلب المكان في لحظة إلى نار تأكلها نار, ولا صوت يعلوا فوق صوت الأنياب والمخالب القوية, و كانت النمور أشد قوة وأكثر عددا, وتهاجم بخطة وضعها نيس, على خلاف القردة التي فاجأتها الهجمة, وأصبحت في موضع دفاع عن النفس, و هربت إلى الكهوف لكن النمور لم تتركها, و أرادت بعضها أن تُعلن عن غضبها بأن ترد الهجمة, فأفلتت نفسها من المعركة وانطلقت بسرعة جنونية وغضب نحو المدينة, لكن الناس هناك كانت تعرف بقدومها واستعدوا لها, وأمطرتها سهامًا قبل أن تصل الى الأسوار, ومن لم تصبه السهام وأراد أن يحفر أسفل الأسوار ليجعل نفسه بالداخل; تفاجأه صخور عنيدة تحت الأرض تمنعه وتفسد خطته, وبالعودة الى ساحة القردة, نجد أنها قد امتلأت بالدماء و الأشلاء .و مع شروق الشمس لم يُسمع غير ضرضرة النِمور!

***

وصل إلى مسامع آضال أن رجلاً اسمه قِط قِط فار , يملك من القدرات ما لا يملكه غيره, فهو مضحك من ناحية, وبارع في السحر من ناحية أخرى, وبإمكانه قلب الباكي ضاحك بخفة ظلة, وقلب الرمل ذهب بسحره, فأمر بإحضاره على الفور, وخصص وقت جمع فيه حاشيته لمشاركته الضحك والدهشة .

وجيءَ بقِط قِط فار, وكان أسودًا كسوادهم, لكن ملامحه تختلف قليلا, وحذاءه طويل و لباسه ملطش بكل ألوان الدنيا, وفوق رأسه عمة لا تتناسق أبدًا مع أجزاء جسده, مصنوعة من نبات البنفسج وتأخذ شكلًا هرميًا ..

و فور وصوله, انفجر الجميع ضحكًا, لكن آضال ظل عابسًا, ثم أشهر سيفه في وجه قِط قِط فار , هدده بالقتل إذا فشل في إضحاكه وأعطاه الفرصة ليظهر مواهبه ..

ناحَ كالأطفال, و ظن أحد الحاضرين أنه خائف من القتل, ولما أراد تهدئته, رد قِط قِط فار يده وهو يقول

• رأسي تؤلمني

• ولماذا تؤلمك

• كنت أسكن قرية .وأنا أعرف السحر .بلا شك شُووك شهرتي وصلت إليكموك .لكن لست شرير.أو أنا شرير.أنتم تحبون الأشرار مثلي.وكان لي اسم .وهو فُلان

تجبل في مكانه وآخر حرف نطقه مطبوع على شفتيه وفاه فاغرا, هزه الرجل لعل به علة, فعاد يُكمل كلامه

• كنت أبدل نفسي قطًا .وأدخل البيوت لأسرق الطعام والنحاس

.وفي يوم دخلت بيت وأنا قط و سرقت نحاسه ووضعته فوق رأسي .لكن لسوء حظي .أمسكتني المرأة صاحبة النحاس .فأرجعت نفسي إنسان لعلي أقدر على ضربها والهرب .فعرفتني .ونادت نساء القرية كلهن فخلعن نعلهنَ وأشبعني ضربًا على رأسي .و هن يقلنَ .اضربن فلاناً على رأسه طرق الحديد تتب نفسه
قال آضال

• ألا تعرف أيها اللص أننا نقتل اللصوص

قالها غير جاد, أراد فقط معرفة رد فعل قِط قِط فار , الذي قالَ بسرعة خاطفة ..

• رجل اسمه ألف وامرأته اسمها ألفان وابنهما اسمه ثلاث آلاف ..إذا أنقصنا من اسم الأب تسعة ومن اسم الأم تسعة .وقلنا مجموع اسم الأب والأم والابن .يساوي اسم زوجة الابن .وقلنا مجموع اسم الابن وزوجة معًا يساوي اسم الحفيد .فهل لك يا سيدي أرجوك أن تخبرني باسم الحفيد!

وسعت أعين الحضور, وأعلنت وجوههم الحيرة, وناداه البعض بالمجنون, فقال لهم

• يا سادة .اثنتان من النساء .. واحدة اسمها رغي و أخرى اسمها لَكْ .بينهما صداقة قوية وتجاوزت كل واحدة الأربعين ولم يطرق رجل لهما باب الزواج .. السبب أن لا أحد يقدر عليهن ..لأن رغي و لَكْ إذا تحدثتا لا يمكن لأي مخلوق مهما كان .حتى لو أنت يا سيدي العظيم .أن يمنعهما عن الكلام .فكلاهما موصول دون فصل وممدود دون حد ! وعانت الناس في القرية من ثرثرتهما .وما

أن يراهما أحد في طريق إلا وغير طريقه .و لكل واحدة أب عجوز .فاجتمعا العجوزان سرا يتشاوران لعلهما يجدان حلا .واتفقا أن تقطع رغي ولَكْ عادتهما ..لا حل غير ذلك.

كان قِط قِط فار يحرك جسده بطريقة تجعل من يراه يظنه بلا عقل, يجلس على الأرض أو ينام على ظهره أو يقفز في الهواء إذا ما أراد, ويتلاعب بملامح وجهه بمهارة فائقة .

• وفي ليلة .دخلت رغي على أبيها فوجدته ميتا فوق فراشه .هي ظنت هذا .عقلها صور هذا .هذا هذا هاذ .والحقيقة .أبوها يخدعها .يريد أن يصدمها .فتتسبب الصدمة في شل لسانها .لكنها اقتربت منه ووضعت فمها في أذنه وراحت تقول دون توقف.. أبي أبي أبي أبي أبي أبي.. قالتها ألف مرة أو أكثر .فانتفض أبوها يصرخ.. لم أمت لم أمت.. وناله منها صداع مؤلم

ضحك الكثير من الواقفين وبعضهم طالب قِط قِط فار أنت يكمل .وسألوه عن صديقتها التي اسمها لك.

• صديقة من؟ .هي ليست لها صديقة .من قال لكم هذا .أنا مغادر وهمَ بمغادرة المكان, فشده جندي وأرجعه وأمره أن يُكمل, فقال

• أما الأخرى .شدها أبوها نحوه بعنف .كالذي فعله معي هذا الجندي الجبار .وقال لها سأقتلك إذا لم تتوقفِ عن الثرثرة .و ليته ما فعل

قال آضال

• هيا أيها الغبي قل ماذا حدث

فقال قِط قِط فار

• أخذت تقص عليه قصص منذ بداية الزمان لوقتها حتى تقنعه أنها بريئة .فبكى لها وترجاها أن تتوقف وقال.. كفى كفى لن أقتلك.. توقفي أرجوكي

وسقط بعض الحاضرين على الأرض من كثرة الكركرة, ووضع آضال رأسه في الأرض وهو يحاول كتم الضحك بصعوبة .وأكمل قِط قِط فار يقول.

• سأحكي حكاية عجيبة غريبة كتينة هتيتة حدثت لي.كنت أسير في طريقي.وسمعت صوت خفيف يناديني .كان مقبل من الأسفل .فحولت نظري إليه .واستطعت بفضل قوة عيني الخارقة .رؤية نملة واقفة عند قدمي .فحنيت ظهري ومددت يدي لها .فأصبحت على كفي .وإذا بها تتكلم وتقول لي.. أين هو .أين هو .. قالتها وهي غاضبة .أفزعني غضبها .ووجدت نفسي أرتجف من شدة الخوف وقلت لها: من سيئ الحظ هذا الذي تبحثين عنه .. قالت: انه الفيل ثكلته أمه.. فسألتها ما الذي حدث.. فقالت: أمسكتُ به وهو يتسلق على جسدي.. فقلت أنا: الفيل يتسلق على جسدكِ! قالت: نعم .وأمسكت به و طرحته أرضا وانكسرت عنقه .. فقلت والذهول يحتويني: أتقصدين الفيل أيتها النملة !هل أنتِ متأكدة ! قالت: نعم هو وهل أنا تائهة عن شكله.. قلت: وماذا حدث بعد ذلك.. قالت: فرَ مني وقال سيأتينني بمن يشبعني ضربًا .آه لو أعرف طريقه .آه لو رأيته آه لو.. وفي هذا الوقت تجمدت النملة في مكانها .ثم وقفت على رجليها الخلفيتين ومالت جسدها نحوي كأنها تشير إلي .وحينها شعرت بأحد يقف خلفي .كان فيل ضخم لم تنظر عيني مثله في

حياتي وقال لي والغضب يملأه: إذن أنت الذي أتت بك النملة لتشبعني ضربًا .حسنًا .طاخ طوخ طاخ

لم يستطع آضال كتم ضحكه هذه المرة, فضحك حتى دمعت عينيه, ثم أشهر سيفه مرة أخرى في وجه قِط قِط فار , ولكن السبب مختلف , وقال

- والآن ..إذا لم يعجبني سحرك .أعدك .سأفصل رأسك عن جسدك .وأنا لا أرجع في وعد أعده
- ما رأيك في نجوم تمشي على الأرض
- لم أسمع عنها في حياتي .ابدأ عرضك أيها الغريب

وطلب قِط قِط فار قنديل مُضاء, فلُبيَ طلبه في الحال, وأخذت العيون تراقب تحركاته الغريبة, ذهب بالقنديل إلى نافذة كبيرة من نوافذ القصر, وأخذ يُيُمنها و يُيُسرها ..

فجأة .. ظهرت أعداد لا تُحصى من النجوم تجوب الأرض, كانت بعيدة لكن يمكن رؤيتها وهي تلمع وتشع زرقة, و تسير بسرعة كبيرة, كاد آضال يُكذب عينيه, والحاشية لا تفعل شيء غير البحلقة, و تمتمات الذهول تملأ جوانب المكان, وبعد وقت, اختفت النجوم على مهل, وأقبلت الألسنة على قِط قِط فار بالمدح والثناء وقال لآضال

- ولو أردت يا سيدي أحضرها لك
- وما الذي أستفيده
- ألا تعرف أن النجم ظاهره ألماس وباطنه ياقوت أحمر
- هاا ! ولكن لماذا لا تحضره لنفسك

* لا يجوز لي .هكذا السحر لا ينفع صاحبه
اقتنع آضال, وأمر قِط قِط فار بإحضار النجوم, وفُتحت أبواب القلعة لتدخل منها
أمسك القنديل المضاء وكرر ما فعله عند النافذة, حتى ظهرت النجوم مرة أخرى, وكانت أكثر عددًا مما سبق,واتجهت كالرعد نحو القلعة, وكان آضال في هذه الوقت مشغول بتخيل حاله بعد الثراء الفاحش, وسلطانه لأي مدى سيصل, هل سيملك الأرض فقط أم ستطول قبضته الفضاء, وتغامز من حوله من الأتباع, كانت فكرة تستحوذ على عقولهم, يا ترى ما مقدار نصيبنا .نجمة أم اثنان ..
اقتربت النجوم, أصبحت على أبواب القلعة, ووضحت صورتها, وانبسطت أسارير الوجوه دهشة, فالذي أدركه آضال وأتباعه, أن خيولًا سوداء تمتطيها قردة هي التي تقترب! وما النجوم إلا رسومات على بطونها, وقبل أن يتخذ قرارا, دخلت الخيول القلعة وأحدثت صخبًا, وكان في ظهرها وائِيل و جنوده, البعض على ظهر الخيل والبعض يمشي على الأرض, مسلحون ومتأهبون للقتال
أيقنَ آضال أنه وقع في فخ, وأصبح بدًا الفتك بقِط قِط فار اللئيم, ولكن أين ذهب هذا المهرج .لعله تبخر
في الحقيقة, ما قِط قِط فار إلا نيس متنكرًا, وقد اتفق مع وائِيل على حيلة تسهل اقتحام قلعة آضال, و أخذ حكايات نادرة عن الرجل القصاص وتعلم أسلوبه في القص, و أحضر خيل أسود حتى يمتزج مع سواد الليل فلا يراه أحد, ثم طلب من الرسامين أن يرسموا على كل جانب نجمة زرقاء يحسبها الناظر من بعيد

تشع نورًا, بعد ذلك صفف الخيل عند موقع بعيد عن القلعة, وجعل قردة من فصيلة الشامبانزي تمتطيه, وكانت القردة مدربة لتذهب بالخيل لمسافة محددة بنظام لا تخله ثم تعود إلى مكانها الأول, ولم يختارها نيس لأداء هذه المهمة عبثًا, لكن لأن لها أقدام قصيرة لن تطول جوانب الخيل فتبقى الرسومات واضحة دون حجب, وأيضًا لأن الخيل إذا امتطاه الشامبانزي لا يصهل!

انضم نيس إلى القتال وأظهر جسارة , وكان يُلازم وائِيل طوال الوقت .

و أعطى آضال إشارة لجنده فتحوا بعدها أبواب تحت الأرض, وخرج منها نحو ألف كائن غريب جدًا, مُرعب جدًا جدًا, رأسه لكلب وجسده لانسان, وطوله لا يزيد عن حوالي خمسين سنتيمتر, وينوح بلا توقف,و وانتشرت هذه الكائنات في كل مكان منقضة على رجال وائِيل لتنهش لحمهم أحياء, وأصبحَ الظفر بالمعركة يميل لآضال, ثم أقبلت النمور تعدوا وانضمت إلى وائِيل وأجهزت على الكائنات الغريبة, فعادت كفة وائِيل ثقيلة, وأجبر جنود آضال على التراجع والتفرق ليفقدوا نظامهم وتضعف قوتهم .

وكان آضال مختبئًا فوق قمة من قمم المدينة ومعه ميس التي لا زالت سجينة داخل قفص حديدي.

ودخل الظبي عليه

آضال للظبي

- أين قردتك .ألا ترى ما نحن فيه
- نيس قتلها

آضال بغضب

• أيها الغبي .أنت عديم الفائدة .حتى لا يمكنك حمل سلاح تدافع به عن نفسك

الظبي وهو ينظر ميس نظرة قاسية

• ميس يجب أن تموتِ

وكانت قلقة وهي تتابع حديثهما من وراء القضبان, وتقهقرت عندما اقترب الظبي منها وهو يقول

• أنا قتلت نيس

لكن ميس لم تلق لكلامه أي اهتمام , فقال

• لماذا لا تصدقيني.ألا تحبينه

• أحبه .لكن لن أصدقك

غير الظبي ملامح وجهه وانقلب باكيًا ثم استطرد

• يا ميس .يا صديقتي .هذا الرجل الذي خلفي .أمرني أن أفعل هذا بكما .وهددني بالقتل إذا لم أفعل

وهمت بتصديقه

واستطرد الظبي بسخرية

• أرجوكِ لا تصدقيني .أنا كاذب .كاذب .قلبك الطيب هذا يجب أن يموت حتى لا يرتع المخادعين في خيره

و كان باب السجن مغلق بسلاسل عنيدة لم يتمكن الظبي من تحطيمها, فحاول إفلات نفسه من بين القضبان, لكنها ضيقة للغاية و منعته من ذلك, وكانَ أقصى ما يمكن إفلاته إلى القفص هو قرنه السليم, وحاول النيل من ميس, لكنها أودت نفسها إلى وسط

القفص حتى لا تؤُذىَ. وطلب الظبي من آضال فتح باب القفص, وهنالك جاء نيس بهيئته العادية, ومعه وائِيل ..

قال آضال وهو يقصد نيس

• أهلًا وائيل .. هل هذا الرجل هو المهرج الذي خدعني!

فقال الظبي

• اصمت .انه ليس مهرج .بل نيس

وقال وائِيل لآضال

• دائمًا تكون على خطأ .لكن أعدك .. سيكون آخر خطأ

نيس لآضال

• احترس .وائِيل لا يعود في كلمة

ثم قال للظبي

• يقولون أن الإنسان العادي يموت مرة واحدة .والحاقد يموت ألف مرة

الظبي

• أنت تحبها.و لا تقدر على فراقها لحظة .ولكن.ماذا لو قتلتها أمام عينيك .هل ستقتلني؟ ولكن أنا ملك وأنت رجل ضعيف .فقير .ولص أيضًا .لص لأن الجميع رفض أن يوفر لك عملًا أو يتعامل معك.. لأن الملك أمرهم بذلك .فاضطررت إلى سرقة الشعير .حتى الماءَ إن لم تسرقه تموت ظمآن.. هل ستقول .أيها الملك العظيم .أنا ضعيف و فقير ولص .ولكن ارضخ لأمري وزوجني ابنتك التي أحبها وتحبني.. وإلا..

تريث ثم استطرد

• وإلا مثلا .سأحلق معها بعيدا عن مملكتك .هل توافق أن تعيش حياة.بذيل وقرنين! .وكل هذا لأنك أحببت! نعم أنا أحقد عليكما .وأبكي عندما تضحكان!

وقالت ميس من وراء القضبان

• اخلع الشر عن نفسك .طهر روحك.ارجع لفطرتك الجميلة

أودى الظبي رأسه الى كل ناحية كالثمل, وبخطر رجله وأسال لعابًا على فمه, ثم تهادى إلى الأرض وتحدث بلسان ثقيل

• ورغم كرهي لكما ..إلا أني أحببت لنفسي الموت .فأكلت النبتة السامة

كان يقصد النبتة التي وضعتها ميس على جسدها, وأغمض عينيه بهدووو وهو يهمس

• سا .مي .حاااني

وفور أن قالها, حاول آضال الهرب, ولحقه وائِيل وبارزه, وحاول نيس فتح باب السجن لكنه لم يقدر, فاقتربت ميس منه ولامسا بعضهما من وراء القضبان,وضما بعضهما بشوق, ولكن ..

• اكذب اكذب طالما الانسان يصدق

إنه الظبي! لم يمت! سخر منهما لأنهما صدقاه كالعادة, ثم ضبط قرنه وأسرع نحو نيس, ضرب سيفه بقرنه وأوداه بعيدا,وجعله أعزل.

حاول الإفلات من هجمات الظبي المتتالية, لكن طعنات كثيرة نالت من أماكن متفرقة في جسده, وجعلته ينزف دمًا, أما ميس فكانت فرجت في كل وقت أن يرجع نيس إليها سالما وينتصر على الظبي

الشرير, لكن الظبي باتَ أقوى, قفزَ في الهواء ورفسَ نيس فجعله هامدًا على الأرض, وبالرغم من حجمه الصغير مقارنة بنيس, لكن رشاقته جعلته مقاتل شرس ..

قدرَ وائِيل على آضال وأوداه قتيلًا, و عاد إلى نيس وميس ليقدم المساعدة, فوجد نيس يخوض معركة عنيفة ضد الظبي, وسمعه يطلب منه تحرير ميس, فعزم على إخراجها من القفص, واستطاع بمساعدة رجال معه فتح باب القفص وجعلها خارجه ..

وحينها, استقوى نيس على ضعفه و جمع عزيمته ثم أمسك الظبي من قرنه ورماهُ داخل القفص, فأسرعَ وائِيل ورجاله بغلق القفص بالسلاسل, وأحكموا إغلاقه..

ضما بعضهما ضمة شوق, وأقبلا على القفص ..

قال نيس

- ما هذا الحب الذي نحن فيه ..إذا سألوني عنه ماذا أقول!
- لا تتعب نفسك ..فكل الكلم قليل

و هاجَ الظبي جدًا, جرى ناحيتهما وأخرجَ قرنه ليطولهما

قال نيس

- قولي أُحبكَ نيس

فقالتها ثم قالت

- قُل أُحبك ميس

فقالها, فردَ هو

- ما الحب في كلمة
- نِيس

ثم قالت

- وما هو في كلمتين
- نيس وميس

وبدأ يدوران حول القفص, ولكن بطريقة جعلت وائِيل يستغرب, كانت ميس تدور حولَ نيس وهو يدور حولها! كانا يتنافسان في لعبة, والذي يتعب أولًا لا يكون فائزًا..

واحترق الظبي غيظًا, وتمنى لو ينزل شهابًا فوقهما ويرتاح, زَعَقَ وقفز ورفس, وكان يذهب الى آخر القفص ثم يجري بسرعة ليصدم رأسه بالقضبان. فعلَ ذلك مرارًا, وخارت قوته, ولا يزال نيس وميس يدوران ويتحابان ..

و نهشَ أسفل عنقه بأسنانه, فبانَ أنه يأكل نفسه! استمر في النهشِ ومزقَ كل جزء في جسده يطوله فمه, كانَ يفترس نفسه, واحتال ضبعًا ينهشُ ظبيًا! ولم ينزع عينيه عن نيس وميس لحظة, خارت قوته أكثر, زَعِقَ زَعقة غيظ,ونطقت عينيه بالكره والحَزن, وسقط ميتًا وسط دماءه ..

الفصل الحادي عشر

على مدى يومين, لم يدع الفرح بابًا إلا وطرقه, وانتشر الغناء و الرقص والطبول, وفُتحت أبواب المدينة كلها ليلًا ونهارًا, وهادت الناس بعضها الهدايا والتحيات, وهاجت الأرواح بهجة ..

لكن نيس شغله أمر أخر, إنها المرأة العجوز, فذهب إليها ومعه ميس, وفتحَ لهما الطفل الذي يخدمها, وطلبا منها أن تخبرهما بما تعرفه, فقالت أنها لا تعرف سوى حكايات في الكتب, فأصر نيس, فقالت

- يُقال .أنهما بداية الحب و أصله .ملك و ملكة .بينهما هوى لا مثله هوى .وعشق جاوز كل وصف..

قالت ميس

- ما شأننا بهما
- الملك اسمه نيس والملكة اسمها ميس!

ميس بعد صمت حائر

- وماذا أيضا!
- أراد الملك أن يُخلد حكايته مع حبيبته إلى الأبد .وجاءهُ حُتُبْ الساحر .ونقش كل ما كان بين الملك والملكة على حجر.. لا يمكن لأي مخلوق فهم هذه النقوش سوى اثنين في زمان ومكان مجهول.. وحينها .ينتقلان إلى عالم آخر .يعيشان فيه قصص تشبه قصص الملك والملكة .. ولكن يجب أن تتطابق أسماءهما مع أسماء الملك والملكة .نيس و ميس .و يحملا صفاتهما .كانا شاعرين و الملكة تخاف

من الزهور البيضاء !

ميس

- بل كل الألوان

وقال نيس

- ولكن .كيف أصبح ملكًا وهو يخشى الناس!

فقالت الطبيبة

• أنت محق .كان يخجل حتى من الرجال .. لكن ميس ساعدته .ولولاها لضاعت مملكته

وأردفت

- ولكن ..شرْ آزِم كبير السحرة .اغتاظ وحقد على حُتُب الذي نال رضا واحترام الملك فتسلل إلى الحجر وبدل فيه أشياء بسحره فجعل فيه الشر

قالت ميس

- لا أصدق أنني بطلة هذه القصة الغريبة! ولكن.. أنا اشتقت لأبي
- تُريدين أن تغادرينا .. سأفتقدك أنت وهذا الشاب الذي لا يخش أحد .. لكن ..لا تسألاني عن هذا .اذهبا إلى زوجي .هو أكثر مني علمًا

قال نيس

- أين نجده

فقالت

- في السجن .اسمه بَكَىَ

وقصداً بَكَى في سجنه, فسألهما عن الظبي وقالاَ له هُزِم, وسألهما عن آضال وقالا هُزِم, فابتسم لهما ودعاهما للاستعداد للعودة ..

***

جهز نيس لحبيبته أمرًا لا يروق لها, ورفضته, لكنه أصر وحدثها بطريقة جعلتها مطمئنة, وأفضى مساحة وسط حقل اقِط قِط فار , وأصبح وسطه وهي معه مغمضة العينين, كما فعلت مع الطفل من قبل, وكانت الناس كلها مجتمعة وكأنه حفل كبير, وأسند نيس ظهره بظهرها وفردَ زراعيه وأوسع رجليه وهي قلدته, وجاء رجل بحبل و أوثقهما ببعضهما, وطلب نيس منها فتح عينيها, فانفجرت رعبًا ..

جاء الشامبانزي بتاج مُكلل بالزهور, و وضعه فوق رأس ميس, وشكلت النمور حلقةً حولهما, كانت مُكللة بزهور الياسمين البيضاء, وأخذت تدور حولهما, وكلما أغلقت ميس عينيها, قال الناس بصوت واحد

" كل انسان لديه بطل .وبطلي هو أنا"

كانوا يرددون كلام الحكيم بَكَىَ, وتحول ما في صوتهم الى ترنيمة لها وقع نسمات الربيع على النفس, وشاركهم فيها نيس وميس التي استطاعت إبقاء عينيها مفتوحة, وقالت

- يا نيس .جعلتني فوق ضعفي.. بسطت لي يدك .أكرمتني
- بل أنتِ الخير وأعظم رزق

وكانت الناس تحمل أقدارًا معبئة بورد مختلف الألوان, ففتحتها ورشته على ميس وبعضه طال نيس, واستقبلته هي على أنه سهاماً

نارية, كانت تتصبب عرقا وترتجف, وجاء الغراب بأقرانه ونزلوا يقطفون الأزهار من رؤوس اقِط قِط فار , ثم حلقوا في السماء و أسقطوها على نيس وميس ..

عادَ الرجل وفكَ الحبل, وكانت ميس مرتبكة, لكنها بدأت تتماسك, وخلعت التاج عن رأسها, أمسكته بيدها! التي لا تغادرها الهزة, لكنها ثبتتها, ثم شبت على أطراف قدميها, أرادت وضع التاج على رأس نيس ..

بدأت الناس ترقص وتغني, ولاصق كل نفر من الواقفين جسده بالأخر, ليصبحوا كتلة واحدة, ورفعوا أيديهم لفوقَ مُبسطين أكفهم, كأنهم ينتظرون أن تهديهم السماء هدية, أشبكوا أكفهم في بعضها, وأخبر نيس حبيبته أنه سيوفي بوعده الآن, وسيجعلها ترقص على كفه كما طلبت, وانضم إلى الناس وجعل كفيه بين كفوفهم ..

ومشت الأطفال والنساء بميس, ساعدوها حتى أصبحت فوق الأيادي, واتجهت إلى حيث يقف نيس, وقفت على كفيه المبسوطين وبدأت بالرقص, وطلع الشامبانزي معها, وطارَت الغربان قرب رؤوسهما, ولا يزال الغناء و الطبل يملأ الأجواء و والناس سعيدة, و وبعد أن أوفى نيس بوعده,طلع إليها ليرقص, ورقصا رقصة واحدة ..

ثم..

الذي حدث بعد ذلك ..

***

في طرقة المستشفى..
على الجدار..
علقت ممرضة لوحة زيتية تزيد المكان جمالًا.. وهي لرجال سود البشرة يرفعون أياديهم إلى الأعلى, وشابًا وفتاة يرقصان فوق أياديهم, كانا مختلفان عن الناس شكلًا, وحيوانات وطيور حولهما..
فجأة ..
امتلأ المكان ضجيجًا.. ازدحمت الطرقة بالأطباء والممرضات..الجميع يهرول..لا أحد يُصدق ..
"فاقت المريضة رقم سبعة .استعادت المريضة رقم سبعة وعيها .اتصلوا بوالدها حالا .الحمد لله"
اخترقت هذه العبارات أذن ميس, وكانت الممرضات تُطلقن أيديهن بحرية في أنحاء جسدها, واحتاجت وقت لتُدرك ما يحدث حولها, ثم بدأت الأشياء تتضح أمامها, ورأت والدها والفرحة تملأ وجهه,وأيقنت أنها عادت إلى عالمها القديم, ودخلَ راشد ليقدم لها التحيات, فتذكرته بسرعة, وسألته عن نيس فأخبرها أنه في الغرفة المجاورة لغرفتها, لكنه لا يزال غائبًا عن الوعي, وناول راشد هاتفه لميس, وكانت دولت تريد التحدث إليها ..
وتحدثت الى الهاتف تقول

- اطمئني يا جدتي.. يا أم نيس.أنا أُحب حفيدك

***

كانت دولت تقضي ساعات أمام جهاز الكومبيوتر الذي أحضره راشد, دون أن ترفع نظرها عن نيس الظاهر أمامها على الشاشة,

لكنها غيرت الوضعية التي تجلس بها ومدت عينيها نحو الشاشة, شيء ما لفت انتباهها وجعلها مندهشة, هل حركَ نيس يده الآن! أم أني أحلم .هكذا كانت تردد.

و بعد أيام ..

" أبي .أيها الرجل الثري .كل الذي قلته لك عن الأحداث الغريبة التي قبلتها .. حقيقة .صدق أو لا تصدق إنها مسألة تخصك .الذي بيننا أنا ونيس كبير جدا .ولن نتنازل عنه .. أنا أحب هذا الفقير الذي تكرهه ..عند قراءتك هذه الرسالة سأكون معه .وإذا أردت إرسال رجالك لنا .أرسلهم إذن إلى هذا العنوان .مستشفى البسطاء .الغرفة سبعة و ثمانية .ابنتك التي تحبك .ميس".

عن الكاتب

ضياء فتحي موسى

كاتب / قصة قصيرة/رواية

مصري الجنسية

التواصل :

FACEBOOK:

www.facebook.com/diaamousaid

GMAIL:

diaamohamedfathey@gmail.com

GOOGLE :

ضياء محمد فتحي

ضياء فتحي موسى